قواعد في توحيد الربوبية والإلهية

إعداد

د. عواد المعتق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد/ فنظراً لأهمية علم العقيدة عامة والتوحيد خاصة – أساس الإسلام ومفتاح دعوة الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام – العلم الأساسي الذي تجدر العناية به تعلماً وتعليماً،وعملاً بموجبه لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة للعاملين بها.

خصوصاً ونحن في زمان قد كثرت فيه التيارات المنحرفة المناوئة للحق ، وكلها خطر على من لم يكن محصناً بالعقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة الصحيحة، وما عليه سلف هذه الأمة.

وهذا مما يستدعي العناية بتعلم العقيدة الصحيحة وتعليمها لأبناء المسلمين من مصادرها الصحيحة .

لذا رأيت أن أجمع بعض القواعد لتوحيد الربوبية والإلهية.

لعل الله أن يجعل بها تيسيراً لفهم هذا التوحيد وتذكيراً ببعض جزئياته .

وقد جعلتها في مقدمة : في بيان أهمية البحث والدافع لاختياره.

المبحث الأول : قواعد في توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : قواعد في توحيد الإلهية.

المبحث الثالث: قواعد مشتركة.

وأخيراً أسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

تمهيد:في تعريف قواعد التوحيد.

أ – تعريف القواعد.لغة : الإساس جمع قاعدة،وهي أصل الإس يقال :وقواعد البيت :إساسه .

وفي التنزيل ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ . . .الآية ﴾(١)

وفيه أيضا : ﴿ . . . فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ . . .الآية ﴾(٢)

قال الزجاج: القواعد : أساطين البناء التي تعمده(٣).

وفي الاصطلاح:القاعدة :بمعنى الضابط:وهي حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه(٤).

ب – تعريف التوحيد :

توحيد لغة:على وزن تفعيل مصدر وحدته توحيداً ومعناه جعل الشيء واحد، يقال وحده توحيداً جعله واحداً .والإيمان بأنه واحد،يقال وحد الله أقر وآمن بأنه إله واحد لا شريك له؛ لا جعله واحداً؛ ذلك أن وحدانية الله ذاتية له ليست بجعل جاعل.

يقول ابن منظور:(التوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له)(٥).

التوحيد في الاصطلاح: هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً(٦).

والمراد بقواعد التوحيد – هنا – قواعد توحيد الربوبية والإلهية –كما سيأتي بيانه –.

---

(١) آية ١٢٧ البقرة

(٢) آية ٢٦ النحل

(٣) انظر: لسان العرب ج٣ ص١٢ والتوقيف ص٥٦٩

(٤) شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني ج١ص٣٥ ، المصباح المنير ص١٩٥ وانظر التوقيف ص٥٦٩ والتعريفات للجرجاني ص٢١٩

(٥) لسان العرب ج٣ ص٨٨٨ والقاموس المحيط ج١ ص٣٤٣وانظر: ص٣٤٤،والحجة في بيان المحجة ج١ ص٣٣١ ولوامع الأنوار البهية ج١ ص٥٧

(٦) لوامع الأنوار البهية ج١ ص٥٧

المبحث الأول: قواعد في توحيد الربوبية .ومنها ما يلي:

القاعدة الأولى: (الرب) من أسماء الله تعالى لا يطلق بالألف واللام على غيره؛لأنها للعموم، وربوبة الله تعالى عامة وشاملة لكل مربوب ؛ لأنه تعالى هو الخالق المربي الرازق الناصر الهادي المحيي المميت المالك للخلق كلهم المدبر أمرهم[١]

في هذه القاعدة أمرين : الأول :(أن الرب) من أسماء الله لا يطلق بالألف واللام على غيره؛لأنها للعموم، والله سبحانه وتعالى رب الأرباب يملك المالك والمملوك وهو خالق ذلك ورازقه وكل ما سواه غير خالق ولا رازق ولا يملك جميع المخلوقات .

يقول ابن كثير (... وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل ...)[٢]

ويقول القرطبي (متى أُدخلت الألف واللام على رب اختص الله تعالى به؛ لأنها للعهد...فالله سبحانه رب الأرباب يملك المالك والمملوك ، وهو خالق ذلك ورازقه وكل رب سواه غير خالق ولا رازق)[٣]

وقال ابن الأثير (الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد المدبر والمربي والقيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى ...)[٤]

وقال ابن تيمية (...ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقاً ولارباً مطلقاً ونحو ذلك ؛ لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمصنوع وليس ذلك إلا لله وحده)[٥]

وقال العيني(ومعنى الرب في اللغة يطلق على المالك والسيد ... ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى...)[٦]

وقال الفيومي (... الرب يطلق على الله تعالى معرفاً بالألف واللام أو مضافا ... ولا يجوز استعماله بالألف واللام للمخلوق بمعنى المالك لأن اللام للعموم والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات)[٧]
ولذا لا يستعمل لغير الله إلا بالإضافة فيقال : رب كذا ونحو ذلك.

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى ج١٤ ص١٣ والتفسير القيم ص٥٩٨ وعقيدة التوحيد ص٨٨ وتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية للميداني ص٣١

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص٢٣

(٣) تفسير القرطبي ج١ ص ١٣٧

(٤) النهاية لابن الأثير ج٢ ص١٧٩ وانظر:فقه التوحيد ص٤٢

(٥) مجموع الفتاوى ج٢ ص٣٥

(٦) عمدة القاري ج٢٢ ص٣٠٣

(٧) المصباح المنير ص٢١٤

يقول ابن كثير (ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة تقول رب الدار ...)[(١)]

ويقول العيني (... وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا)[(٢)]

الثاني :أن ربوبية الله عامة وشاملة لكل مخلوق ؛ لأنه تعالى الخالق المالك للخلق كلهم المدبر أمرهم

يقول ابن القيم – في تفسير قوله تعالى– ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ﴾ [(٣)]

(وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مر بوب) [(٤)]

القاعدة الثانية:الإيمان بأن الله رب كل شيء ومليكه له الخلق والأمر وحده لا شريك له ؛ إذ لا رب غيره[(٥)].

في هذه القاعدة إثبات للخالق سبحانه وتعالى فهو رب كل شيء كما قال تعالى﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [(٦)]

ومليكه كما قال تعالى﴿ . . . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ . . .الآية ﴾ [(٧)]

وإفراد له بأفعاله من الخلق والتدبير والإحياء والإماتة وجلب النفع ودفع الشر وغير ذلك من أفعاله التي لا تحيط بها العبارة كما قال تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [(٨)]

ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر؛ إذ هو من أفعاله [(٩)] سبحانه .

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص٢٣

(٢) عمدة القارئ ج٢٢ ص٣٠٣ وانظر : تحفة الأحوذي ج٩ ص٢٥٩ولسان العرب ج١ ص٣٩٩

(٣) آية ١–٣ الناس

(٤) التفسير القيم ص٥٩٨ وانظر : القواعد الحسان ص١١١

(٥) انظر التدمرية ص١٦٥ودرء تعارض العقل والنقل ص٣٧٧–٣٧٨وتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية للميداني ص١٧

(٦) آية –١– الفاتحة .

(٧) آية ١٣ فاطر

(٨) آية ٥٤ الأعراف.

(٩) انظر : تيسير العزيز الحميد ص١٧ وبيان حقيقة التوحيد للفوزان ص١٤

يقول ابن تيمية (... إنه لا بد من الإيمان بخلق الله وأمره فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه على كل شيء قدير وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ...) [١]

القاعدة الثالثة :إن مجرد الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي وحده في حصول الإسلام إلا إذا كان معه توحيد العبادة [٢]

يقول ابن تيمية (فأما توحيد الربوبية الذي أقربه الخلق وقرره أهل الكلام فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم) [٣]

وقال الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب (...القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام(أي وأن مجرد الإقرار لم يدخلهم في الإسلام حتى يضيفوا إلى ذلك إفراد الله بالعبادة) [٤]

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥]

وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [٦]

ففي هاتين الآيتين وغيرهما إخبار بأن الكفار كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت مدبر الأمر ولم يكونوا بذلك مسلمين بدليل قوله تعالى﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ . . .فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾.

بل هم مشركون[٧]كما قال تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [٨]

---

(١) التدمرية ص١٦٥ وانظر: مجموع الفتاوى ج١١ ص٥٠

(٢) مجموع الفتاوى ج٣ص١٠١،١٠٢والرد على الأخنائي ص٢٠٣وإغاثة اللهفان ج١ص٣وأضواء البيان ج٣ص٧٤-٧٥

(٣) مجموع الفتاويج١ص٢٣، وانظر ج٣ص١٠١-١٠٢ ، ١٠٥، والتدمرية ص١٩٥-١٩٦

(٤) أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع ص٢٤

(٥) آية ٢٥ لقمان

(٦) آية ٨٧ الزخرف.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى ج٢ص ٣٨

(٨) آية ١٠٦يوسف

قال ابن تيمية – بعد أن ذكر هذه الآية – (فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم وهم يعبدون غيره)[1]

وقال الشنقيطي– في تفسير هذه الآية– (...قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعامر الشعبي وأكثر المفسرين أن معنى هذه الآية أن أكثر الناس وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته ، فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم ... والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه ... والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً...– ثم ذكر شيئاً منها إلى أن قال– : وهذه الآيات القرآنية تدل على أن توحيد الربوبية لا ينقذ من الكفر إلا إذا كان معه توحيد العبادة،أي عبادة الله وحده لا شريك له) [2].

القاعدة الرابعة:وحدانية الربوبية معلومة بالفطرة الضرورية البديهية،والآيات الكونية، ومعجزات الرسل،وبالضرورة العقلية،والقواطع النقلية،وغير ذلك من الدلائل[3] [4].

في هذه القاعدة بعض الأدلة على إثبات الخالق ووحدانيته؛– ذلك أنها أكثر من أن تحصى[5] – منها ما يدل على إثبات الخالق ، ومنها ما يدل على وحدانيته ، ومنها ما يدل على الأمرين .

أولا : ما يدل على إثبات الخالق ، ومن ذلك ما يلي :

أ– الفطرة السليمة .

يقول ابن تيمية (وقد بينا في غير موضع أن الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته) [6].

والمراد بالفطرة – هنا– هي خلق الإنسان قابلا للإيمان والتوحيد طبعا وطوعا[7].

وهي من الأدلة على إثبات الخالق ؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد فطر كل مخلوق– أي جبله –

(١) العبودية ص٤٩ وانظر مجموع الفتاوى ج٢ ص٣٨ وج١١ص٥٠–٥١

(٢) أضواء البيان ج٢ ص ٢١٨–٢١٩ وانظر تفسير القرطبي ج٩ ص٢٧٢وتفسير أبي السعود ج٤ ص ٣٠٩

(٣) كاتفاق الأمم ،انظر مجموع الفتاوى ج٥ص٥٤٩، ج١٣ ص٣٠١

(٤) انظر:الاعتقاد للبيهقي ص٤٥ ومجموع الفتاوى ج١ ص٤٨ وج٢ص٣٦،٣٧ وج١١ ص٣٧٨، ٣٧٩ وج١٣ ص٣٠١ وشرح العقيدة الطحاوية ص٧٧

(٥) انظر :منهاج السنة النبوية ج٢ ص٢٧٠

(٦) مجموع الفتاوى ج٦ ص٧٣ وانظر ج٢ ص٦ من نفس الكتاب.

(٧) انظر : جامع الأصول ج١ص٣٧١ وتفسير الجزائري ج٣ص٤٨٦

على الإقرار بخالقه ؛لذا متى ما عرض العلم بربوبية الله على النفوس السليمة مما يعارضه أو يكدر إدراكها فإنها تؤمن به قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا . . . الآية ﴾[(١)].

يقول ابن كثير (يقول تعالى فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم...وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها،فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده...)[(٢)]

كما أشار إليها سبحانه وتعالى في قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [(٣)]

يقول النسفي (وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم ...وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم ... قالوا : وهي الفطرة التي فطر الناس عليها)[(٤)].

وقال ابن تيمية (...فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن وأنه من لوازم خلقهم ... وهذا هو الإقرار والشهادة المذكورة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ ... الآية ﴾[(٥)]) [(٦)].

وأشار إليها النبي ﷺ في قوله(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج بهيمة جمعا...الحديث) وفي رواية (إلا وهو على الملة) وفي أخرى(على الملة)[(٧)]ولم يقل أو يسلمانه[(٨)]مما يدل على أنه يولد مفطوراً على معرفة الله وتوحيده.

يقول النووي (... والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام)[(١)]

---

(١) آية ٣٠ الروم

(٢) تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٣٢وانظر: درء تعارض العقل والنقل ج٨ص ٤٥٦ – ٤٦٨ ،وص ٤٨٢وتفسير الجزائري ج٣ص٤٨٦

(٣) آية ١٧٢ الأعراف

(٤) تفسير النسفي ج١ص٥٨٨ وانظر تفسير ابن سعدي ج٣ ص٥٦

(٥) آية ١٧٢ الأعراف

(٦) درء تعارض العقل والنقل ج٨ ص٤٨٢

(٧)رواه البخاري في الجنائز باب إذا أسلم الصبي،وباب ما قيل في أولاد المشركين وانظر:جامع الأصول حديث ٥٦

(٨) انظر : شرح الطحاوية ص٨٢

ويقول ابن الأثير (ومعنى هذا الحديث أن المولود يولد على نوع من الجبلة وهي فطرة الله تعالى وكونه متهيئاً لقبول الحقيقة طبعاً وطوعاً ولو خلته شياطين الإنس والجن ...لم يختر إلا إياها ..)[٢] ودل العقل عليها :– يقول ابن أبي العز (وهذا الذي أخبر به النبي ﷺقد شهدت الأدلة العقلية بصدقه) ثم ساق شيئا منها [٣].

وعلى ذلك أجمع العلماء :– يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (وحكي إجماع السلف والخلف على أن الإقرار بالصانع أمر فطري)[٤]

ب:– الآيات الكونية المشاهدة .مثل خلق السماوات والأرض.

قال تعالى﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥]

وخلق الناس والدواب:– قال تعالى ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٦]

واختلاف الليل والنهار وإنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض .

قال تعالى﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٧]

وأمثال ذلك من الآيات التي نبه الله تعالى عليها في كتابه ؛ ذلك أنها حادثة والحادث لابد له من محدث؛فإنه يمتنع وجود المحدَث بنفسه،وعليه فهي آية وعلامة على خالقها وهو الله [٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم ج١٦ ص٢٠٨

(٢) جامع الأصول ج١ ص٢٧١ وانظر : مجموع الفتاوى ج١ص٤٥،ج٢ ص٦

(٣) شرح الطحاوية ص٨٢

(٤) درء تعارض العقل والنقل ج٨ ص٤٨٢ وانظر : منهاج السنة النبوية ج١ص٢١١

(٥) آية ٣ الجاثية

(٦) آية ٤ الجاثية

(٧) آية ١٦٤ البقرة

(٨) انظر :مجموع الفتاوى ج٥ص٣٥٧– ٣٥٨ودرء تعارض العقل والنقل ج٣ ص٨٣، ٨٧، ١٠٥وشرح قصيدة ابن القيم ج١ص ١٧.

يقول ابن تيمية (ولما كان القياس الكلي فائدته أمر مطلق لا معين :كان إثبات الصانع بطريق الآيات هو الواجب كما نزل به القرآن ، وفطر عليه العبادة ... فكل مخلوق فهو دليل وآية على الخالق نفسه ...) (١)

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني (... وأن يعلم أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر في آياته والاعتبار بمقدوراته والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته)(٢)

ج:ومما يستدل به أيضا – على إثبات الخالق سبحانه وتعالى– ما نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين مما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى .

قال تعالى﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ . . . الآية﴾ (٣)

وعن أنس بن مالك ﷺ قال :(أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قام أعرابي فقال :يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ،فرفع يديه – وما نرى في السماء قزعة– فوَالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ... حتى الجمعة الأخرى ، فقام ذلك الأعرابي – أو قال غيره – فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا،فرفع يديه فقال :اللهم حوالينا ولا علينا ،فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ...الحديث) (٤)

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة (٥)

ثانيا :ما يدل على وحدانية الخالق سبحانه .

ومما يدل على ذلك العقل الصحيح ،ومن ذلك: ما نراه من انتظام أمر الكون ؛ذلك أنه لو كان له أكثر من مدبر لأدى إلى تجزئ الكون وفساده ،فانتظام أمر العالم كله وإحكامه من أدل دليل على أن مدبره واحد،وقد أشار الحق سبحانه إلى ذلك فقال : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ

(١) مجموع الفتاوى ج١ص٤٨

(٢) الإنصاف للباقلاني ص٣٣ وانظر التفسير القيم ص١٩١ ، ١٩٢

(٣) آية ٧٦ الأنبياء

(٤) رواه البخاري في كتاب الجمعة باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة،ومسلم في الاستسقاء باب الدعاء في الاستسقاء وانظر جامع الأصول حديث ٤٢٨٩ وحاشيته

(٥) انظر :نبذة في العقيدة الإسلامية لابن عثيمين ص ١٣

مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١) (٢)

كما دل على ذلك أيضا دليل التمانع وهو أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلا فهما،مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه،... فإما أن يحصل مرادهما أو مراد أحدهما أولا يحصل مراد واحد منهما. الأول ممتنع ؛لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثالث:ممتنع ؛لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع،ويستلزم أيضاً عجز كلٌ منهما والعاجز لا يكون إلهاً
، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هو الإله القادر والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية فلا يكون رباً(٣).

يقول ابن أبي العز(...كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالم واحد لا رب غيره ...)(٤)

ثالثا:ما يدل على إثبات الخالق ووحدانيته .ومما يدل على ذلك:

أ- النقل الصحيح :-

ومن ذلك قوله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥)

وقوله تعالى ﴿ . . . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (٦)

ب- آيات الأنبياء :وهي المعجزات(٧)التي يشاهدها الناس أو يسمعون بها كعصا موسى ،وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى. وانشقاق القمر وتكثير الطعام ،وهذا القران–الذي تحدى الله به العرب وغيرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بآية – لمحمد ﷺ إنها دليل قاطع على وجود

(١) آية ٩١ المؤمنون.

(٢) انظر:شرح الطحاوية ص٨٥ – ٨٦

(٣) شرح الطحاوية ص٧٨ – ٧٩ (بتصرف)

(٤) شرح الطحاوية ص٨٦

(٥) آية ٥٤ الأعراف

(٦) آية ١٣ فاطر

(٧) جمع معجزة والمعجزة لغة: اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة.وفي القاموس المحيط (ومعجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة . القاموس المحيط ج١ ص٦٦٣ وانظر لوامع الأنوار البهية ج٢ ص٢٨٩. والمراد بالمعجزة – هنا– هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم من المعارضة يظهره الله على يد مدعي النبوة تصديقا له في دعواه وتأييدا له في رسالته انظر:مذكرة التوحيد ص٤٥ ولوامع الأنوار البهية ج٢ ص٢٩٠.

مرسلهم وهو الله تعالى ؛لأنها أمور خارجة عن قدرة البشر يجريها الله تأييداً لرسله،كما أنها دليل على صدق الرسول فيما جاء به من عند الله من إثبات الخالق ووحدانيته وحدوث العالم .

يقول البيهقي (وقد سلك بعض مشايخنا رحمنا الله وإياهم في إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ؛لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا إليه النبي ﷺ) [1]

وقال ابن تيمية (وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم ؛لأنه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجز وجب تصديقه على ما أنبأهم به من الغيوب ودعاهم إليه من وحدانية الله تعالى) [2]

القاعدة الخامسة:توحيد الربوبية أقرت به الخلائق كلها مؤمنها وكافرها ولم ينكره ويجحد الرب إلا شواذ من العالم إما عناداً واستكباراً أو جهلاً وتقليداً[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (فأما الإيمان بالله فهو في الجملة قد أقر به جمهور الخلائق إلا شواذ الفرق من الفلاسفة الدهرية والإسماعيلية ونحوهم...)[4]

وقال أيضا (...وإنما كان يجحد الصانع بعض الناس...)[5]

وقال ابن أبي العز(وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به ... وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون وقد كان مستيقنا به في الباطن) [6]

في هذه القاعدة –كما رأينا – بيان أن توحيد الربوبية قد أقرت به الخلائق كلها ، ولم ينكره ويجحد الرب إلا معاند كفرعون عند ما قال﴿ . . .وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[7]**وقد كان مستيقنا به في**

(١) الاعتقاد للبيهقي ص٤٥ وانظر: مجموع الفتاوى ج١١ ص٣٧٨

(٢) درء تعارض العقل والنقل ج٨ ص٣٥٢ وانظر مجموع الفتاوى ج١١ ص٣٧٩

(٣) انظر :مجموع الفتاوى ج٢ ص٣٨ ،ج٥ص٥٤٩،ج٧ ص٦٣١ ، ٦٣٨ ،ج١٣ ص١٨٧

(٤) مجموع الفتاوى ج٧ ص٦٣٨

(٥) مجموع الفتاوى ج٧ ص ٦٣١

(٦) شرح الطحاوية ص٧٧

(٧) آية ٢٣ الشعراء.

الباطن كما قال تعالى﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا . . . الآية ﴾[١]،ولهذا قال له[٢]موسى عليه السلام – فيما حكى الله عنه – ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . . . الآية ﴾[٣] أو الدهريين الذين يجحدون الخالق ويزعمون أن العالم يسير بنفسه كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ . . .الآية ﴾[٤]

قال الطبري (يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا وما يهلكنا فيفنينا .. إلا مر الليالي والأيام وطول العمر إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ...)[٥]

ومثلهم الفلاسفة الدورية المنكرون للصانع[٦].

وهؤلاء لم ينكروا ذلك بناء على علم دلهم عليه ولا سمع ولا عقل ولا فطرة،وإنما مكابرة وبناء على وهم كاذب،كما قال تعالى﴿ . . . وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[٧].

وما قام على ظن فلا يلتفت إليه.ومثلهم[٨]أصحاب الطبيعة والصدفة،فأما أصحاب الطبيعة فهم الذين يزعمون أن هذا العالم وجد نتيجة للطبيعة التي هي عبارة عن ذات الأشياء من النباتات والحيوانات والجمادات،فهذه الكائنات هي الطبيعة وهي التي أوجدت نفسها– بزعمهم –.

أو يقولون هي: عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وملاسة وخشونة،وهذه القابليات من حركة وسكون ونمو وتزاوج وتوالد، هذه الصفات وهذه القابليات هي الطبيعة – بزعمهم – وهي التي أوجدت الأشياء .

وهو قول باطل على كلا الاعتبارين؛لأن الطبيعة بالاعتبار الأول – على حد قولهم – تكون خالقة ومخلوقة،فالأرض خلقت الأرض والسماء خلقت السماء وهكذا .

---

(١) آية ١٤ النمل

(٢) مجموع الفتاوى ج٧ ص٦٣١

(٣) آية ١٠٢ الإسراء

(٤) آية ٢٤ الجاثية

(٥) تفسير الطبري ج٢٥ ص١٥٢

(٦) انظر تيسير العزيز الحميد ص٥٤٣.

(٧) آية ٢٤ الجاثية

(٨) انظر: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية للميداني ص١٢٢-١٢٣

وهذا مستحيل ؛ لأنها عدم قبل وجودها،والعدم لا فعل له.ولأنها محدثة والمحدث لا يقدر على دفع التغيير عن نفسه بعد وجوده ،وما لا يقدر على دفع التغيير عن نفسه بعد وجوده يستحيل أن يكون قادراً على إيجاد نفسه قبل وجوده [1].

أضف إلى ذلك أنها آلة محضة لا عقل لها ولا شعور فكيف تصدر عنها الأفعال العظيمة التي في غاية الإتقان ونهاية الحكمة .

وإذا كان صدور الخلق عن الطبيعة بهذا الاعتبار مستحيلا فهو بالاعتبار الثاني أشد استحالة؛لأنه إذا عجزت ذات الشيء عن خلقه فعجز صفته من باب أولى.ولأن وجود الصفة لا يكون إلا بوجود الموصوف الذي تقوم به فكيف تخلقه وهي مفتقرة إليه . وإذا ثبت بالبرهان حدوث الموصوف لزم حدوث الصفة .

وأما أصحاب الصدفة :– فهم الذين يقولون أن هذه الكائنات تنشأ عن طريق المصادفة بمعنى أن تجمّع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة يؤدي إلى ظهور الحياة بلا تدبير من خالق مدبر ولا حكمة، وهذا قول باطل ترده العقول والفطر ولا يقره العلم ؛ ذلك أنه يستحيل أن يُنسب إليها أقل الأشياء مما فيه إحكام فكيف بهذا الكون كله الذي في غاية الدقة والتنظيم [2]

القاعدة السادسة :الاستقلال بالفعل من خصائص رب العالمين [3].

يقول ابن تيمية (فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور ، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،فكل ما سواه إذا قدّر سبباً فلا بد له من شريك معاون وضد معوق ...)[4]

وقال أيضا (ولهذا لما كان وجوب الوجود من خصائص رب العالمين والغنى عن الغير من خصائص رب العالمين : كان الاستقلال بالفعل من خصائص رب العالين ...ولهذا لا يستحق غيره أن يسمى خالقاً ولا رباً مطلقاً ونحو ذلك؛لأن ذلك يقتضي الاستقلال والانفراد بالمفعول المصنوع وليس ذلك إلا لله وحده ...)[5].

---

(١)انظر التمهيد لقواعد التوحيد ص٤٩

(٢)الإرشاد للفوزان ص١٨ – ١٩ (بتصرف)وانظر :مذكرة التوحيد عبد الرزاق عفيفي ص١٨والعقائد الإسلامية ص٤٠ –٤١ ،٤٤ والتمهيد لقواعد التوحيد ص٤٩ وعقيدة المؤمن ص٣٨ – ٣٩

(٣) انظر مجموع الفتاوى ج٢ ص٣٤ – ٣٥

(٤) مجموع الفتاوى ج١٠ ص٣٣١

(٥) مجموع الفتاوى ج٢ ص٣٤ – ٣٥ وانظر: التدمرية ص٢١١

وقال أيضا (وأما الواحد الذي يفعل وحده فليس إلا الله)[١]

وقال ابن أبي العز (والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه ...)[٢]

في هذه القاعدة –كما رأينا – نفي أن يكون لله نداً في الفعل لا على سبيل الانفراد ولا على سبيل المشاركة ، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

القاعدة السابعة:اعتقاد أن الأسباب هي المبدعة للأشياء شرك في الربوبية[٣] .

الأسباب جمع سبب.وهو لغة:الحبل – سمي بذلك ؛لإيصاله إلى المقصود ، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى غيره[٤]

وفي الشرع : عبارة عما يكون طريقا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه[٥].

والمراد بكونها هي المبدعة للأشياء : هو اعتقاد تأثيرها تأثيراً ذاتياً في مسبباتها من دون خلق الله وقضاءه وقدره[٦]،بمعنى أنها هي المبدعة لمسبباتها، مثل: من يعتقد أن السحاب : هو الذي أنزل المطر،والوطء رزق الولد ونحو ذلك من دون خلق الله وقضائه وقدره.

وهو شرك في الربوبية ؛ لأن فيه إضافة فعل الله إلى غيره.

يقول ابن تيمية (وأما أهل الهدى والفلاح ... فيؤمنون بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ... ومع هذا لا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب التي يخلق بها المسببات ... ومن قال يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القران ... كما أن من جعلها هي المبدعة لذلك فقد أشرك بالله وأضاف فعله إلى غيره ...) [٧]

وقال أبو البقاء الحنفي (... وشرك الأسباب وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك ... وحكمه التفصيل، فمن قال في الأسباب العادية أنها تؤثر بطبعها فقد حُكي الإجماع على كفره ...) [٨]

(١) مجموع الفتاوى ج٢ ص٣٦

(٢) شرح الطحاوية ص٤٩٣

(٣) انظر : التدمرية ص٢١١ ومدارج السالكين ج١ص٢٤٤

(٤) انظر : المصباح المنير ص١٠٠وتاج العروس ج٣ ص٣٨ وشفاء العليل ص١٨٩ – ١٩٠

(٥) الكليات ج١ ص٥٠٣

(٦) انظر :توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية للميداني ص١٧

(٧) التدمرية ص٢٠٩– ٢١١وانظر مجموع الفتاوى ج٨ ص٣٩٢

(٨) الكليات ص٢١٦ وانظر رسالة الشرك ومظاهره ص٦٦– ٦٧

وقال ابن القيم (والناس في الأسباب والقوى والطبائع ثلاثة أقسام ...إلى أن قال : فالإلتفات إليها بالكلية شرك مناف للتوحيد ...) [١].

وإن قيل ما المذهب الحق في الأسباب؟ قيل:– هو إثباتها أسبابا موصولات لا تضر ولا تنفع إلا بإذن الله يخلق الله بها المسببات[٢].

(١)مدارج السالكين ج١ ص٢٤٣– ٢٤٤ وانظر مجموع الفتاوى ج١ ص١٣١ وج١٠ ص٢٥٧

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ج٨ ص٣٩٢ وج١٠ ص٢٥٦ ومدارج السالكين ج١ص٢٤٤

المبحث الثاني : قواعد في توحيد الإلهية. ومنها ما يلي:-

القاعدة الأولى:الله سبحانه إنما هو إله–بمعنى مألوه[١] – من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلهاً[٢]

في هذه القاعدة ما يلي أولا :بيان المعنى الصحيح للفظ الإله وأنه إله بمعنى مألوه وهو المعبود الذي يستحق العبادة،لا بمعنى آله وهو القادر على الإختراع – كما سيأتي بيانه–؛ذلك أن فهم توحيد الإلهية ينبني على فهم معنى هذا اللفظ.

كما أن في هذا إيضاحاً للحق في معنى هذا اللفظ حتى لا يقع الغلط فيه كما وقع ذلك للمتكلمين الذين قالوا إن معنى الإله:القادر على الاختراع؛لظنهم أن الإلهية هي القدرة علىالاختراع،وترتب على ذلك الغلط في فهم الشهادة،ومن ثم عدم تحقيق توحيد الإلهية الذي دعت إليه الرسل[٣].

يقول ابن تيمية (وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو ...بل الإله الحق : هو الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه لا إله بمعنى آله. والتوحيد أن يعبد الله وحده ،والإشراك أن يجعل مع الله إلها آخر) [٤]

ثانيا : تأكيد أن الله سبحانه إنما هو إله من وحده ؛ لأن من لم يوحده قد اتخذ إلها غيره باطلاً .

ولذا لا يتناوله لفظ العبد في القرآن.

يقول ابن القيم – في تفسير سورة الناس – (وأخّر الإلهية لخصوصها؛لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلها ،فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه،ولكن المشرك ترك إلهه الحق واتخذ إلها غيره باطلا)[٥].

وقال ابن تيمية (ولفظ العبد في القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبده فلا يطلق عليه لفظ عبده ،كما قال سبحانه﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ . . . الآية ﴾ [٦]... وقوله ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا . . .الآية ﴾[٧]...

---

(١) انظر: التدمرية ص١٨٦ وفتح المجيد ص٢٨

(٢) التفسير القيم ص٥٩٨ وانظر مجموع الفتاوى ج١ ص٤٣

(٣) انظر التدمرية ص١٨٥ – ١٨٦ ومنهج ابن تيمية ص٥٥٠

(٤) التدمرية ص١٨٥ – ١٨٦ وانظر: درء تعارض العقل والنقل ج٩ص٣٧٧

(٥) التفسير القيم ص٥٩٨

(٦) آية ٤٢ الحجر

(٧) آية ٦٣ الفرقان

وقوله﴿ . . . نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[١]...ونحو هذا كثير)[٢]

القاعدة الثانية : الإيمان بأن الله عز وجل أمر بعبادته وحده لا شريك له ،كما خلق الجن والإنس لعبادته ، وبذلك أرسل جميع رسله وأنزل جميع كتبه[٣].

في هذه القاعدة :الإيمان بما يلي :

أ – بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له[٤].

كما قال تعالى﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا . . . الآية﴾[٥]

ب– وخلق الخلق ليعبدوه وحده[٦]كما قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٧]

ج – وأرسل جميع الرسل يدعون إلى عبادته وحده[٨].كما قال تعالى﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ . . . الآية﴾[٩]

وكما ذكر – سبحانه – عن رسله كنوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم ﴿ . . .اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . . الآية﴾[١٠]

ونحو ذلك من الآيات التي فيها إخبار بأن الرسل إنما يدعون إلى عبادة الله وحده .

د – وبذلك أنزل جميع الكتب كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[١١].

---

(١) آية ٣٠ ص

(٢) مجموع الفتاوى ج١ ص٤٣-٤٤

(٣) انظر التدمرية ص١٦٦ ومجموع الفتاوى ج١ ص٢،٤،٢٣ والرد على الأخنائي ص٦

(٤) انظر:تفسير ابن كثير ج ١ص٤٩٣

(٥) آية ٣٦ النساء

(٦) انظر :تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٣٨

(٧) آية ٥٦ الذاريات

(٨) انظر : التدمرية ص١٧٤

(٩) آية ٣٦ النحل

(١٠) آية ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ،٨٥ الأعراف

(١١) آية ٢٥ الأنبياء

قال قتادة – في تفسير هذه الآية – لم يرسل نبي إلا بالتوحيد والشرائع مختلفة ...) [1]

وقال أبو السعود (وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ . . .الآية ﴾استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام)[2]

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا . . . الآية ﴾[3] (أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه ...وكذلك هي في جميع الكتب)[4]

القاعدة الثالثة:الإيمان بأن الله عز وجل هو وحده الإله المستحق للعبادة ؛ لأنه هو وحده الرب المتصرف في الكائنات ابتداءً ودواماً[5].

قال تعالى ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[6]

يقول ابن تيمية (فذكر (الحمد) بالألف واللام التي تقتضي الاستغراق لجميع المحامد،فدل على أن الحمد كله لله ثم حصره في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[7]...فهذا يدل على أنه لا معبود إلا الله وأنه لا يستحق أن يعبد أحد سواه ...) [8]

وقال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ﴾[9].

---

(١) تفسير القرطبي ج١١ ص٢٩٩ وانظر: تفسير الطبري ج١٨ ص٤٢٧

(٢) تفسير أبي السعود ج٣ ص٦٩٦وانظر: تفسير ابن سعدي ج٥ص١١١

(٣) آية ٣٦ النساء

(٤) تفسير القرطبي ج٥ ص١٨٥ وانظر فتح البار ي ج٦ص٤٨٩ والتدمرية ص١٦٧

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ج١ص ٣٧ ،٧٦ ،٨٨ – ٨٩ وج١٤ ص١٧١وتوحيد الربوبية و توحيد الإلهية للميداني ص١٨ وفتح المجيد ص٣٦

(٦) آية ٢ الفاتحة

(٧) آية ٥ الفاتحة

(٨) مجموع الفتاوى ج١ص٨٩

(٩) آية ١ الأنعام

يقول ابن سعدي – في تفسير الآية – (فحمد نفسه على خلق السماوات والأرض الدالة على كمال قدرته ... وانفراده بالخلق والتدبير وعلى جعله الظلمات والنور ... وهذا كله يدل دلالة قاطعة أنه تعالى هو المستحق للعبادة وإخلاص الدين له ...) (١)

وقال الشنقيطي– في تفسير قوله تعالى﴿ ... أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ ... الآية ﴾(٢) (أشار سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة إلى: أنه هو المستحق لأن يعبد وحده؛ لأنه هو الخالق وحده ولا يستحق من الخلق أن يعبدوا إلا من خلقهم ...) (٣)

وقال ابن كثير – في تفسير قوله تعالى﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ...الآية ﴾(٤)

(... يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الأنات والحالات ،فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل (هل تدري ما حق الله على العباد ؟قال: قلت الله ورسوله أعلم .قال: (فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ...الحديث) (٥)(٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (فإن الله هو المستحق للعبادة لذاته ؛ لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية فكيف يصلح أن يكون إلها... قال تعالى﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾(٧)) (٨)

(١) تفسير ابن سعدي ج٢ص١٧٣ وانظر : تفسير النيسابوري ج٧ص٩٣

(٢) آية ١٦ الرعد

(٣) أضواء البيان ج٣ ص١٠١

(٤) آية ٣٦ النساء

(٥) رواه البخاري في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ومسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً والترمذي في الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة انظر جامع الأصول حديث ٧٠٠٥ وحاشيته

(٦) تفسير ابن كثير ج١ ص٤٩٣ وانظر :فتح المجيد ص٣٦.

(٧) آية ٩٣ مريم .

(٨) مجموع الفتاوى ج١ص٨٨ وانظر التفسير القيم ص٣٤ وص ٧ (الحاشية)

القاعدة الرابعة :شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله إعلان وتعبير عن الإيمان بالوحدانية والرسالة.[1].

في هذه القاعدة أصل الإسلام ومفتاح الجنة[2] – شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله– يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر ويعبر به عن الإيمان بالوحدانية والرسالة.

ويتضمن الأمر بعبادة الله والنهي عن عبادة ما سواه .

يقول ابن تيمية(فهنا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر،وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّدا رسول الله)[3] .

وقال أيضا (...وذلك أنه إذا شهد أنه لا إله إلا الله فقد أخبر وبيّن ...أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة،وهذا يتضمن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه ...فإن النفي والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر والنهي ...) [4]

وسنتناول إن شاء الله–بإيجاز–معنى هذه الشهادة وتحقيقها،ومتى ينتفع الإنسان بقول لا إله إلا الله

أولا:معناها وتحقيقها:أما معناها :فإن معنى لا إله إلا الله :لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له .

ومعنى شهادة أن مُحَّد رسول الله :أن نشهد له بالرسالة من الله تعالى و نصدقه فيما أخبر ونطيعه فيما أمر ونجتنب ما نهى عنه ، وأن لا نعبد الله إلا بما شرع[5].

وأما تحقيقها : فهو أن لا نعبد إلا الله ، ولا نعبده إلا بما شرع.

قال ابن تيمية (وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان أحدهما: أن لا نعبد إلا الله .والثاني :أن لا نعبده إلا بما شرع ... وهذان الأصلان :هما تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأن مُحَّد رسول الله) [6]

ثانيا :متى ينتفع الإنسان بقول لا إله إلا الله ؟

ج :– ينتفع بقول لا إله إلا الله إذا حقق أركانها وشروطها –كما سيأتي بيانه – ومات على ذلك لم يرتكب ناقضا من نواقضها بدليل حديث أبي ذر ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ (ما من

(١) انظر : التدمرية ص١٩٥ وتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية للميداني ص١٨ – ١٩ ،٤٥

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ج١١ ص٦١٧ وتيسير العزيز الحميد ص٦٩

(٣) التدمرية ص١٩٥ وانظر مجموع الفتاوى ج١١ ص٥٠، ٦١٧

(٤) مجموع الفتاوى ج١٤ ص١٧١

(٥) التدمرية ص١٩٥ – ١٩٦ ومختصر العقيدة الإسلامية ص٥٦

(٦) مجموع الفتاوى ج١ ص٣٣٣ وانظر ص٣٦٥ وج١١ ص٦١٨

عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)[١][٢]

أ – أركانها : اثنان نفي واثبات.النفي وحدّه:لا إله . والمراد به:نفي الإلهية الحقة عما سوى الله. والإثبات وحدّه(إلا الله) والمراد به: إثبات الإلهية الحقة لله وحده لا شريك له[٣].

ب – شروطها :وهي التي لا تصح لا إله إلا الله إلا بتوافرها[٤]. وهي سبعة .

الأول: العلم المنافي للجهل،قال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . . .الآية ﴾[٥]

الثاني:اليقين المنافي للشك، قال تعالى﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا . . .الآية ﴾[٦]

والثالث:الإخلاص المنافي للشرك. قال تعالى﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . . ﴾[٧]

الرابع:الصدق المنافي للكذب،قال تعالى﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ . . . الآية ﴾[٨]

الخامس:المحبة المنافية لضدها ، قال تعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ . . . الآية ﴾[٩]

السادس:الانقياد المنافي للترك،قال تعالى﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى . . . الآية ﴾ [١٠].

السابع:القبول المنافي للرد، قال ﷺ (من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فهي له

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب من مات لم يشرك بالله شيئا دخل الجنة ج٢ ص٩٤

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ص٦٦ ،٦٩

(٣) انظر مجموع الفتاوى ج١٤ ص١٧١ – ١٧٢ والكواشف الجلية ص٢١

(٤) انظر أصول الفقه الإسلامي ص٣١٥

(٥) آية ١٩ محمد

(٦) آية ١٥ الحجرات

(٧) آية ٥ البينة

(٨) آية ٣٣ الزمر

(٩) آية ١٦٥ البقرة

(١٠) آية ٢٢ لقمان

نجاة ... الحديث)[1] [2].

القاعدة الخامسة: الإنقياد لله بالطاعة على مقدار الاستطاعة وذلك بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور[3].

في هذه القاعدة ما يلي :– أولاً : المراد بالانقياد لله بالطاعة ، وبما يحصل ؟

قال ابن عقيل : (والطاعة والانقياد والإتباع نظائر؛ فإنها الاستجابة بسهولة)[4]

وقال الأنصاري (والطاعة :هي امتثال الأمر والنهي)[5]

وعليه فالانقياد لله بالطاعة :هو الاستجابة لله بامتثال ما أمر الله به وترك ما نهى عنه .

وبما أن الصبر[6] مما أمر الله به ،كما قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ . . . الآية ﴾[7]

فإن الانقياد لله بالطاعة يحصل بامتثال ما أمر الله به من فعل المأمور والصبر عليه،وترك المحظور والصبر عنه ، والصبر على المقدور– وهو امتحان الله–.[8]

يقول ابن تيمية (والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور)[9]

(١) رواه أحمد ج١ ص٦ والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي بكر الصديق وصححه انظر الجامع الكبير للسيوطي ج١ ص٨١٥ وكنز العمال حديث ١٦٤

(٢) انظر: معارج القبول ج٢ ص٤١٨ – ٤٢٥ ، ومختصر العقيدة الإسلامية ص٥٧– ٥٨ .

(٣) انظر:التدمرية ص١٦٦ ،٢٢٣ والجواب الصحيح ج١ص١٢ ومجموع الفتاوى ج١ص٤– ٥ وتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ص١٩ ،٤٥ — ٤٦

(٤) الواضح لابن عقيل ج١ص١٣٣ وانظر التعريفات الاعتقادية ص٦٧

(٥) الحدود الأنيقة ص٧٧ وانظر التعريفات الاعتقادية ص٢٢٢

(٦) الصبر لغة:الحبس والكف. والمراد – به هنا– هو حبس القلب واللسان والجوارح على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه. انظر : المصباح المنير ص١٢٦ ومدارج السالكين ج٢ ص١٥٥،١٥٦ والمفردات ص٢٧٣. وهو واجب باتفاق المسلمين –كما قال ابن تيمية وابن القيم – على أداء الواجبات وترك المحطورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب أن يجزع فيها ، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه. انظر مجموع الفتاوى ج١٠ ص٣٩ ومدارج السالكين ج٢ ص١٥٢.

(٧) آية ٢٠٠ آل عمران وانظر مدارج السالكين ج٢ ص١٥٣

(٨) انظر: مدارج السالكين ج٢ ص١٥٦ وعدة الصابرين ص٢٢.

(٩) التدمرية ص٢٢٣

ثانيا:حكمه. يقول ابن تيمية (... وذمه في غير موضع من القرآن من تولى ؛ دليل على وجوب طاعة الله ورسوله ...) [1]

وقال أيضا (فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده ...والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده .وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره،وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل ما أمر به ونهى عنه...) [2] وقال أيضا(...فلا يكون مؤمنا به إلا من عبده بطاعة رسله ...) [3]

من كلام ابن تيمية اتضح دلالة القرآن على وجوب طاعة الله ورسوله؛إذ الإسلام إنما يكون بطاعة الله في كل ما أمر به ونهى عنه، ولذا لا يكون مؤمناً بالله إلا من عبده بطاعة رسله.

ومما يدل على ذلك :–

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [4]

يقول ابن سعدي (قل أطيعوا الله والرسول)بامتثال الأمر واجتناب النهي وتصديق الخبر {فإن تولوا } عن ذلك فهذا هو الكفر) [5]

وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ . . . الآية ﴾ [6]

يقول ابن كثير – في تفسير الآية – (أي فرضت طاعته على من أرسل إليهم) [7]

وقال ابن سعدي (... وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه...) [8]

وبما أن الانقياد لله بالطاعة من تقوى [9] الله التي أوجبها سبحانه بحسب الاستطاعة [10] كما قال

(١) مجموع الفتاوى ج٧ص٦٠

(٢) التدمرية ص١٦٩

(٣) الجواب الصحيح ج١ ص١٢

(٤) آية ٣٢ آل عمران

(٥) تفسير ابن سعدي ج١ص ١٨٠ وانظر :تفسير ابن كثير ج١ص٣٥٨

(٦) آية ٦٤ النساء

(٧) تفسير ابن كثير ج١ ص٥١٩

(٨) تفسير ابن سعدي ج٢ص٤٤

(٩) يقول ابن تيمية (والتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه) التدمرية ص٢٢٣ – ٢٢٤ وانظر : الرسالة التبوكية ص١٠ والتعريفات الاعتقادية ص١١٥

(١٠) شرح الطحاوية ص٤٨٩

تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ . . . الآية ﴾[1]

لذا فإن الانقياد لله بالطاعة واجب على مقدار الاستطاعة .

القاعدة السادسة : تأكيد الطاعة لله بأداء جميع أنواع العبادة،خالصة لله وحده لا شريك له تحقيقا للتوحيد[2].

في هذه القاعدة أمرين :الأول :تأكيد الطاعة بدليل عملي[3] يدل على صدق الانقياد لله بها وهو أداء جميع أنواع العبادة لله .

الثاني :تحقيق التوحيد بمعنى تخليصه من النواقض المخرجة من الملة .وذلك بأداء العبادة بأنواعها القلبية والقولية والعملية خالصة لله وحده لا شريك له،وبذلك يكون العبد مسلما .

يقول ابن تيمية(قد ذكرت فيما تقدم من القواعد :أن الإسلام...هو أن يسلم العبد لله رب العالمين فيستسلم لله وحده لا شريك له ويكون سالما له بحيث يكون متألها له غير متأله لما سواه...)[4]

وقال أيضا(ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده ...بعبادته وحده دون ما سواه،فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما[5] ،ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما[6])[7] .

قال تعالى ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[8]

وقال تعالى﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ [9]

وقال تعالى﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾[10]

---

(١) آية ١٦ التغابن

(٢) انظر:مجموع الفتاوى ج٧ ص٢٦٣ ،٦٢٣، ٦٣٥ وتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ص١٩ – ٢٠ وفقه التوحيد ص٦٠

(٣) انظر:توحيد الربوبية و وتوحيد الإلهية ص١٩ – ٢٠ ومجموع الفتاوى ج١٠ ص٦٦٧

(٤) مجموع الفتاوى ج٧ ص٦٢٣

(٥) لأنه لا يكون سالما له. مجموع الفتاوى ج٧ص٦٢٣

(٦) لأنه لا يكون مستسلما له. مجموع الفتاوى ج٧ ص٦٢٣

(٧) مجموع الفتاوى ج٧ ص٢٦٣ وانظر ص٦٣٥ والعبودية ص١١٤ والروح ص٢٦٣

(٨) آية ١٠٥ يونس وانظر :تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٣٤

(٩) آية ٢ الزمر وانظر :تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٥ وتفسير ابن سعدي ج٧ ص٢٠

(١٠) آية ١١ الزمر وانظر :تفسير ابن كثير ج٤ ص ٤٨

وقال تعالى﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء . . . الآية ﴾[1]

وغير ذلك من الآيات مما فيه الأمر بأداء العبادة خالصة لله وحده .

القاعدة السابعة :العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال،وبذلك تشمل الدين كله[2] ، لها :أصلان – أحدهما : أن لا نعبد إلا الله ،والثاني أن لا نعبده إلا بما شرع[3]، وخمسة عشر قاعدة، قطبها[4]عبادة الله وحده، من كمّلها كمّل مراتب العبودية[5].

في هذه القاعدة ما يلي :

أ– تعريف العبادة:وأنها –كما قال ابن تيمية – اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال،والأعمال ...)[6]

والأقوال :هي أقوال القلب واللسان .

والمراد بقول القلب:– هو اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقاءه على لسان رسله.

والمراد بقول اللسان :هو الإخبار عنه بذلك،والدعوة إليه،والذب عنه،وبيان بطلان البدع المخالفة له،والقيام بذكره ، وتبليغ أوامره .

والأعمال:هي أعمال القلب،كالمحبة لله والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه وإخلاص الدين له وأعمال الجوارح:كالصلاة والزكاة والإحسان إلى الخلق[7]ونحو ذلك .

ومما يدل على أن العبادة اسم جامع قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[8]

---

(١) آية ٥البينة وانظر :تفسير ابن سعدي ج٨ ص٢٥٨

(٢) انظر العبودية ص٣٨ ، ٤٣ والرد على الأخنائي ص٩٨

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص٤٥١ والرد على الأخنائي ص٢١٩

(٤) أي : قلبها وما تدور حوله.

(٥) انظر :مجموع الفتاوى ج١ص٢١ ،٨٠ والتفسير القيم ص١٠٠

(٦) العبودية ص٣٨.

(٧) التفسير القيم ص٩١ (بتصرف)

(٨) آية ١٦٢– ١٦٣ الأنعام.

ب– شمول العبادة للدين كله .

يقول ابن تيمية (فالدين كله داخل في العبادة...)(١)

والدليل :– ما ثبت في الصحيح أن جبريل لما جاء النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ...الحديث) (٢)

والشاهد ما ورد في آخر الحديث من قوله ﷺ (هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم).

يقول ابن تيمية (فجعل هذا كله من الدين،والدين يتضمن معنى الخضوع والذل...ويقال يدين الله ويدين لله أي يعبده ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له)(٣)

ج – أن للعبادة أصلان لا يصح عمل عامل بدونهما(٤)

يقول ابن تيمية (... ولا بد في عبادته من أصلين أحدهما :إخلاص الدين لله ،والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله...)(٥)

ومما يدل على ذلك قوله تعالى﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ . . . الآية ﴾(٦)

يقول ابن كثير:(ثم قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله ﴾ أي أخلص العمل لربه عز وجل ... {وهو محسن } أي اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ... وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما ،أي يكون خالصا صوابا ...)(٧)

وقال تعالى ﴿ . . . فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٨)

يقول ابن كثير – في تفسير الآية – (وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون خالصا لله صوابا

(١) العبودية ص٤٣

(٢)رواه مسلم في الإيمان باب وصف جبريل للنبي ﷺ الإسلام والإيمان،والترمذي فيه برقم ٢٧٣٨ وأبو داوود في السنة باب في القدر،والنسائي في الإيمان باب نعت الإسلام وانظر جامع الأصول حديث ٢ وحاشيته

(٣) العبودية ص٤٣

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص٥٥٩

(٥) مجموع الفتاوى ج٣ ص١٢٤

(٦) آية ١٢٥ النساء

(٧) تفسير ابن كثير ج١ ص٥٥٩

(٨) آية ١١٠ الكهف

على شريعة رسول الله ﷺ)[١]

د – قواعد العبادة :بما أن العبادة تكون بالقلب أو باللسان أو بالجوارح،وأحكامها خمسة واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح،لذا كان للقلب خمس عبوديات ومثلها للسان ومثلها للجوارح ،وبذلك تكون قواعد العبادة خمسة عشر.

يقول ابن القيم (ورحى العبودية تدور على خمسة عشر قاعدة من كمّلها كمّل مراتب العبودية. وبيانها : أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح،وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح)[٢]

القاعدة الثامنة:الأصل في بني آدم التوحيد والشرك حادث فيهم بسبب تركهم اتباع شريعة الأنبياء[٣]

قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ . . . الآية ﴾ [٤]

يقول ابن كثير (ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس ...وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام .قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدة الأصنام والأنداد...فبعث الله الرسل بآياته وبيناته ...) [٥]

وقال ابن تيمية (ولم يكن الشرك أصلا في الآدميين بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله لاتباعهم النبوة ... ـ ثم ذكر هذه الآية مستدلا بها وقول ابن عباس إلى أن قال:– فبتركهم اتباع شريعة الأنبياء وقعوا في الشرك ...فإن آدم أمرهم بما أمره الله به حيث قال له ﴿ . . . فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٦]...وقال في الآية الأخرى ﴿ . . . فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٨٨

(٢) التفسير القيم ص١٠٠

(٣) انظر :مجموع الفتاوى ج٢٠ ص١٠٦ وتفسير ابن كثير ج٢ص ٤١١

(٤) آية ١٩ يونس

(٥) تفسير ابن كثير ج٢ص٤١١ وانظر :تفسير الشوكاني ج٢ ص١٠٦

(٦) آية ٣٨ البقرة

ضَنكًا ... ﴾[1] ... فهذا الكلام الذي خاطب الله به آدم وغيره لما أهبطهم قد تضمن أنه أوجب عليهم اتباع هداه المنزل وهو الوحي الوارد على أنبيائه ...فمن تمسك به فإنه لا يشرك بربه، فإن الرسل جميعهم أمروا بالتوحيد وأمروا به ...فثبت أن علة الشرك كان من ترك اتباع الأنبياء والمرسلين فيما أمروا به من التوحيد بالدين ...) [2]

القاعدة التاسعة:أن صرف أي نوع من أنواع العبادة القلبية أو القولية أو العملية لغير الله شرك بالله[3].

يقول ابن تيمية (فالعبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء ...كل هذا لله وحده لا شريك له ... والشرك أن تجعل لغيره شركاً أي نصيباً في عبادتك ...)[4]

وقال ابن سعدي (فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك)[5] .

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ (فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئاً من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك ولو قال لا إله إلا الله ...) [6].

ومن أمثلته: القلبية: محبة غير الله كمحبة الله ، ونحو ذلك .

قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ . . . الآية ﴾[7].

يقول ابن القيم (أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا ...) [8]

والقولية: كدعاء ميت دعاء مسألة ، أو حي – والمطلوب لا يقدر عليه إلا الله – ونحو ذلك .

(١) آية ١٢٣- ١٢٤ طه

(٢) مجموع الفتاوى ج٢٠ ص ١٠٦ – ١٠٧

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ج١ ص٧٤ و الجواب الكافي ص١٥٤ ،١٦٠والقول السديد ص٤٨وفتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٥١٦ والتعريفات الاعتقادية ص ٢٠٤

(٤) مجموع الفتاوى ج١ ص٧٤ وانظر : تيسير العزيز الحميد ص١٩٣

(٥) القول السديد ص٤٨

(٦) تيسير العزيز الحميد ص١٩٢

(٧) آية ١٦٥ البقرة

(٨) التفسير القيم ص١٤٠

قال تعالى ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [1]

يقول ابن جرير (... فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله (فإنك إذا من الظالمين) يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه)[2] .

والفعلية: كطاعة غير الله في تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله عن رضا واطمئنان قلب بعد العلم بأن ذلك مخالف لما شرعه الله ، ونحو ذلك[3].

قال تعالى ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [4]

يقول ابن كثير (وقوله تعالى{وإن أطعتموهم إنكم لمشركون } أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك ...)[5]

القاعدة العاشرة:لا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله وما سوى ذلك فضلال عن سبيله[6].

في هذه القاعدة أصل من أصول العبادة – وهي: أن الله لا يعبد إلا بما شرع من الدين،وبما أن الدين الذي شرعه إما واجب أو مستحب؛لذا فإنه لا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله،وما سوى ذلك كالحج إلى القبور والطواف بها، أو بغيرها من المواقع ونحو ذلك [7] – مما لم يشرعه الله – فضلال عن سبيله ؛ إذ أنه من الشرك والبدع.

يقول ابن تيمية (فكل من عبد عبادة ليست واجبة في شرع الرسول ولا مستحبة كانت من الشرك والبدع)[8]. من الشرك: لأنها عبادة بما شرع من الدين بغير إذنه.

قال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ . . . الآية ﴾ [9].

---

(١) آية ١٠٦ يونس

(٢) تفسير ابن جرير ج١١ ص١٢٢ وانظر :تفسير ابن سعدي ج٣ص١٨٦

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٨٢ ، وانظر الجواب الكافي ص١٥٦

(٤) آية ١٢١ الأنعام

(٥) تفسير ابن كثير ج٢ص١٧١ وانظر أضواء البيان ج٤ ص٨٣ .

(٦) مجموع الفتاوى ج١ص٤ ،ص٢٦٥ ،وج ٢٧ ص ٢٤ وانظر:العبودية ص٧٥ .

(٧) انظر: الرد على الاخنائي ص ٢١٩ واقتضاء الصراط المستقيم ص٣١٠ .

(٨) الرد على الاخنائي ص ٢١٩ .

(٩) آية ٢١ الشورى .

يقول الشنقيطي (...فقد سمى الله تعالى الذين يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله شركاء)[1]. ومن البدع : لأنها إحداث في أمر الشارع وعمل ليس عليه أمره،وما كان كذلك فهو بدعة مردودة، قال ﷺ (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)وفي رواية (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[2] .

ولذا حذر منها المصطفى ﷺ فقال ﷺ في حديث العرباض بن سارية (...وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة...الحديث) [3]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن جابر ؓ أنه ﷺ كان يقول في خطبته (فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي مُحَمَّد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ...الحديث)[4]

<u>القاعدة الحادية عشر</u>:قصد مكان أو زمان للعبادة أمر شرعي يتقيد فيه بما جاء به الشرع[5].

يقول ابن تيمية (...وأنه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا أن يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع،مثل أن يكون النبي ﷺ قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام إبراهيم ...وكما يقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف الأول ونحو ذلك ...) [6]

وقال أيضا(...وأصل هذا الباب أنه ليس في شريعة الإسلام بقعة تقصد لعبادة الله فيها بالصلاة والدعاء والذكر والقراءة ونحو ذلك إلا مساجد المسلمين ومشاعر الحج) [7]

وقال ابن القيم (الوجه التاسع والثلاثون: أن السنة مضت بكراهة إفراد رجب بالصوم وكراهة إفراد يوم الجمعة بالصوم وليلتها بالقيام سدا لذريعة اتخاذ شرع لم يأذن به الله من تخصيص زمان أو مكان بما لم يخصه به ففي ذلك وقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب)[8].

---

(١) أضواء البيان ج٧ ص١٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داوود انظر :جامع الأصول حديث ٧٥ وحاشيته .

(٣) أخرجه أبو داوود في السنة باب لزوم السنة والترمذي في العلم باب ١٦ وإسناده صحيح انظر:جامع الأصول حديث٦٧ وحاشيته

(٤) رواه مسلم في الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة،والنسائي في العيدين باب كيف الخطبة وانظر :جامع الأصول حديث ٣٩٧٤ وحاشيته

(٥) انظر :اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣١٤ – ٣١٥، ٣١٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ومجموع الفتاوى ج٢٧ ص١٣٧-١٣٨، ١٤٥، ٥٠٢ -٥٠٤

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٨٤ وانظر :ص٣١٤

(٧) مجموع الفتاوى ج٢٧ ص١٣٧ – ١٣٨ وانظر :ص٥٠٣

(٨) اعلام الموقعين ج٣ ص١٤٥.

من كلام ابن تيمية وابن القيم: اتضح أنه لا تقصد بقعة أو زمان للعبادة إلا أن يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع.

وليس في شريعة الإسلام بقعة تقصد للعبادة إلا مساجد المسلمين – وأخصها المساجد الثلاثة[(١)] – ومشاعر الحج ، في زمانها ومكانها المأذون فيه شرعا[(٢)].

وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يشرع قصد شيء منها بعينه للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر ولا غير ذلك من العبادة ؛ إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك [(٣)].

فإن قيل قد أمر الله أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى فيقاس عليه غيره. قيل له:هذا الحكم خاص بمقام إبراهيم الذي بمكة سواء أريد به المقام الذي عند الكعبة موضع قيام إبراهيم، أو أريد به المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى، ولا نزاع بين المسلمين أن المشاعر خصت من العبادات بما لم يشاركها فيه سائر البقاع،وعليه فما خصت به تلك البقاع لا يقاس عليه غيرها وما لم يشرع فيها ، فأولى أن لا يشرع في غيرها[(٤)].

ومثل ذلك الزمان،سداً لذريعة اتخاذ شرع لم يأذن به الله من تخصيص زمان أو مكان بما لم يخصه به إذ في ذلك وقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب[(٥)].

ومن الأدلة على ذلك. ١– عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال:(اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [(٦)].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ (ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم ومواضع صلاتهم للصلاة والدعاء عندها ...) [(٧)] .

---

(١)فإنها هي التي تشد إليها الرحال للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة القران ونحو ذلك من الأعمال الصالحة وما سواها لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم، ويختص المسجد الحرام بالطواف ونحوه كما أنه لا يصلى إلى غيره ، وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، فإن ما يشرع فيهما من العبادات يشرع في سائر المساجد،لكنهما أفضل من غيرهما بمضاعفة الصلاة انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٣٠، ٤٣٩– ٤٤٠.

(٢) انظر: منهج ابن تيمية ص ٥٦٢

(٣) مجموع الفتاوى ج٢٧ ص ٥٠٤ وانظر:الجامع الفريد ص٤٧٣ – ٤٧٤ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص٤٢٨ (بتصرف) .

(٥) اعلام الموقعين ج٣ ص١٤٥(بتصرف) وانظر الاعتصام ج٢ ص١٣.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة مرسلاً وقد صح موصولاً من حديث أبي هريرة ﷺ انظر :الموطأ ج١ ص١٧٢ ، وجامع الأصول حديث ٣٦٧٢ (وحاشيته).

(٧) تيسير العزيز الحميد ص ٢٩٥ .

٢– وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[١].

وجه الدلالة :في الحديث نهي عن اتخاذ قبر النبي ﷺ أو غيره مكان يعتاد مجيئه يوميا أو أسبوعيا أو شهريا أو سنويا أوفي مناسبات معينة ؛ لأن ذلك من اتخاذه عيداً[٢].

يقول ابن تيمية (فإن اعتياد المكان في وقت معين ... هو معنى العيد) [٣].

٣ – ولما رواه معرور بن سويد الأسدي قال: (خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة فلما أصبحنا صلى بنا الغداة ثم رأى الناس يذهبون مذهبا.قال : أين يذهب هؤلاء ؟ قيل يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺهم يأتون يصلون فيه فقال :إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا يتّبِعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في هذا المسجد فليصلّ ومن لا فليمضِ ولا يتعمدها) [٤].ولذا أمر عمر ﷺ بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ ؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة[٥].

القاعدة الثانية عشر:محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة :المحبة والخوف والرجاء.

يقول ابن تيمية (ولا بد من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب إلى الله عز وجل ...فنقول :اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجاء) [٦].

الأول:المحبة[٧]. :وهي محبة العبودية التي تستلزم كمال الذل والطاعة للمحبوب والخاصة بالله تعالى[٨]. ،وهي مقصودة لذاتها ؛ لأنها تراد في الدنيا والآخرة فهي تلقي العبد في السير إلى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه .

---

(١) رواه أبو داود في المناسك باب زيارة القبور ، وأحمد في المسند ج٢ ص٣٦٧ وهو حديث حسن انظر :جامع الأصول حديث٢٤٧٨ وحاشيته .

(٢) انظر : عون المعبود ج٦ص٢٣ وروح المعاني ج١٥ ص٢٣٥ وفتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٢٨٣ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ص٢٥٨ .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ج٢ ص١٥١ وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج١ ص٢٨١ وقال :كما ثبت بالإسناد الصحيح ...) وابن وضاح في ما جاء في البدع ص٩٠

(٥) انظر:ما جاء في البدع لابن وضاح ص٩١

(٦) مجموع الفتاوى ج١ ص٩٥ وانظر :ج٧ ص٢٠

(٧) وهي أقواها انظر مجموع الفتاوى ج١ ص٩٥

(٨) الإرشاد للفوزان ص٦٠

فإن قيل فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعثه على طلب محبوبه، فأي شيء يحرك القلب في هذه الحالة ؟ قيل يحركه شيئان أحدها :كثرة الذكر لمحبوبة؛ لأن كثرة ذكره تعلق القلب به،ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[(١)].

ثانيها:مطالعة آلائه ونعمائه .قال تعالى ﴿ . . . فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[(٢)].

فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثا على طلب محبوبه[(٣)].

الثاني :الخوف – المحمود الصادق – وهو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

والمقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق السوي .فإذا وجد فإنه يمنع العبد أن يخرج عن طريق المحبوب ويدفعه على ترك المعاصي خوف عقابها .

وإذا أمن العبد من عذاب الله وعقوبته فإنه يندفع إلى فعل المعاصي[(٤)].

وهو ينشأ –كما قال ابن القيم – (من ثلاثة أمور أحدها : معرفته بالجناية وقبحها . والثاني :تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها،والثالث :أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب فبهذه الأمور الثلاثة يتم له الخوف)[(٥)].

وتحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوها .

وبما أن الخوف ليس مقصودا لذاته؛ لذا فإنه يزول بزوال المخوف،فإن أهل الجنة لا خوف عليهم –كما قال تعالى ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[(٦)] [(٧)].

---

(١) آية ٤١ – ٤٢ الأحزاب

(٢) آية ٦٩ الأعراف

(٣) مجموع الفتاوى ج١ ص٩٥ – ٩٦ (بتصرف)

(٤) انظر شرح الطحاوية ص٣٧١ ومجموع الفتاوى ج١ ص٩٥ ومدراج السالكين ج١ ص٥١٤ والإرشاد للفوزان ص٥٧

(٥) طريق الهجرتين ص٥٠٤

(٦) آية ٦٢ يونس

(٧) انظر :مجموع الفتاوى ج١ ص٩٦ ومدارج السالكين ج١ ص٥١٤

الثالث :الرجاء :وهو الرجاء المحمود،رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه أو رجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها إلى الله فهو راج لمغفرته ورحمته[1].

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل[3].ومصدره مطالعة الوعد وحسن الظن بالرب تعالى،وما أعد الله لمن آثر الله ورسوله والدار الآخرة، ويحركه مطالعة كرم الرب سبحانه وحلمه وعفوه وما ورد في الرجاء،فإذا وجد فإنه يقود العبد إلى محبوبه ويطيّب له المسير ويحثه عليه ويبعثه على ملازمته،ولذا فإنه مع الرجاء يعمل الطاعات رجاء ثوابها،ومع اليأس من رحمة الله فإنه يتوقف عن العمل الصالح[4].

وهذه المحركات الثلاثة للقلب هي أركان العبادة لا بد من اجتماعها،وأكمل الأحوال فيها –كما قال بعضهم – اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب[5].

كما وصف الله بذلك خيرة خلقه[6].حيث يقول سبحانه ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ . . . الآية ﴾ [7]

يقول ابن القيم (فجمع بين المقامات الثلاثة ، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه . ثم يقول﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ فذكر الحب والخوف والرجاء...) [8].

وعليه فمن تعلق بواحد منها لم يكن عابداً لله تمام العبادة[9].

(١) انظر :مدارج السالكين ج٢ ص٣٦ وشرح الطحاوية ص٣٧١

(٢) آية ٢١٨ سورة البقرة

(٣) مدارج السالكين ج٢ ص٣٥

(٤) انظر :مدارج السالكين ج٢ ص٥٠ ومجموع الفتاوى ج١ ص٩٦ والإرشاد للفوزان ص٥٧ والتعريفات الإعتقادية ص١٧٧

(٥) مدارج السالكين ج١ ص٥١٧

(٦) انظر الإرشاد للفوزان ص٥٧

(٧) آية ٥٧ الإسراء

(٨) طريق الهجرتين ص٥٠٢ وانظر :مدراج السالكين ج٢ ص٣٥

(٩) الإرشاد للفوزان ص٢٠

يقول بعض السلف (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري،ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)[1].

(١) شرح الطحاوية ص٣٧٢ والعبودية ص١٢٨

المبحث الثالث: قواعد مشتركة – بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية– ومنها ما يلي:–

القاعدة الأولى:من حقق التوحيد دخل الجنة.

يقول النووي (...واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال ...) [١].

وتحقيق التوحيد هو تخليصه مما يناقضه وهو في الجملة قسمان ١– واجب :وهو تخليصه من الأمور المحرمة كالشرك والبدع والمعاصي مع فعل الواجبات٢– مستحب :وهو تخليصه من الأمور المكروهة مع فعل الأمور المستحبة[٢].

والمحققون للتوحيد – يوم القيامة – على درجات .أ– منهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب :وهم الذين حققوا التوحيد تحقيقا كاملا بمعنى خلصوه وصفوه من الشرك بنوعيه ، ومن البدع والمعاصي المحرمة والمكروهة[٣] – مع فعل الواجبات والمستحبات– الذين قال الله فيهم :

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [٤].

يقول الشوكاني – في تفسير الآية – (...أي يتركون الشرك تركاً كلياً ظاهراً وباطناً)[٥].

وقال ابن سعدي (...أي لا شركاً جلياً ... ولا شركاً خفياً ... بل هم مخلصون لله في أقوالهم وأعمالهم وسائر أحوالهم)[٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:(عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ...إلى أن قال ... فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك ... فخرج عليهم رسول الله ﷺ ... فأخبروه فقال:هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ...

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج١ ص٢١٧ وانظر : مجموع الفتاوى ج٤ ص٣٠٩

(٢) انظر:القول المفيد ص٩١ وحاشية كتاب التوحيد ص٣٧ وتيسير العزيز الحميد ص٧٦ وقواعد ومسائل في توحيد الإلهية ص١٧٢.

(٣) انظر:فتح المجيد ص٧٣ والقول السديد ص٢٠

(٤) آية ٥٩ المؤمنون

(٥) فتح القدير ج٣ ص٤٨٨

(٦) تفسير ابن سعدي ج٥ص١٧٧

الحديث)[1].

ب– ومنهم :من يدخل الجنة بعد الحساب أو بعد حساب وعذاب[2].

وهم الذين حققوا التوحيد بمعنى خلصوه من النواقض المخرجة من الملة .ومن الأدلة على ذلك:

١– قوله تعالى﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء . . . الآية ﴾[3].

يقول الشوكاني(وأخرج أبو داود في ناسخة وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال في هذه الآية:إن الله حرم المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة..)[4]

وقال الإمام الطحاوي (وأهل الكبائر من أمة مُحَمَّد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون ... وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه ﴿ . . . وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء . . . ﴾وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته)[5]

٢– وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال :أتى النبي ﷺ رجل فقال:(يا رسول الله ما الموجبتان ؟فقال: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ،ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار)[6].

يقول النووي (وأما حكمه ﷺ على من مات مشركاً بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون ، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه ....وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخل الجنة أولاً ، وإن كان صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة فإن عفي عنه دخل أولاً و إلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة)[7].

٣– وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار

---

(١) رواه البخاري في الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، ومسلم في الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، وانظر:جامع الأصول حديث ٥٧٢٥ وحاشيته.

(٢) انظر:العقائد الإسلامية ص٢٩٥ – ٢٩٦

(٣) آية ٤٨ ،١١٦ النساء

(٤) فتح القدير ج١ ص٤٧٦

(٥) شرح الطحاوية ص ٤١٦ – ٤١٧

(٦) أخرجه مسلم في الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وانظر :جامع الأصول حديث ٧٠٠٩

(٧) شرح صحيح مسلم ج٢ ص٩٧

ثم يقول الله تعالى (أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ...الحديث) [(١)].

٤- وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيره ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة)[(٢)].

٥- وعن عمران بن الحصين ﷺ أن النبي ﷺ قال (يخرج قوم من النار بشفاعة محمّد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين)[(٣)].

وقال ابن تيمية (ومذهب الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر أهل السنة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر وأنه لا يخلد في النار من أهل الإيمان أحد ...)[(٤)].

القاعدة الثانية: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية ، وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية،ولذا كان الإقرار بتوحيد الربوبية أسبق وكان الاستدلال به على توحيد الإلهية[(٥)]

في هذه القاعدة ما يلي : أولا: بيان العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ، وأنها علاقة التزام وتضمن ،فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية .يقول ابن تيمية (والربوبية تستلزم الإلهية)[(٦)]

ويقول ابن سعدي (فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه)[(٧)]

وتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية .

يقول ابن أبي العز (فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد الربوبية)[(٨)]

---

(١) أخرجه الترمذي في صفة جهنم باب رقم ١٠ وانظر :جامع الأصول حديث ٧٠٠٠ وحاشيته

(٢) أخرجه الترمذي في صفة جهنم باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذُكر منَ يخرج من النار من أهل التوحيد وقال هذا حديث حسن صحيح وانظر :جامع الأصول حديث ٦٩٩٩ وحاشيته

(٣) رواه البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار وأبو داود في السنة باب في الشفاعة والترمذي في صفة جهنم باب ١٠ وانظر :جامع الأصول حديث ٨١١٨ وحاشيته

(٤) مجموع الفتاوى ج١ ص٣١٨ وانظر :شرح صحيح مسلم للنووي ج١ ص ٢١٧

(٥) انظر : شرح الطحاوية ص٧٩، ٨١، ٨٣- ٨٤ وتفسير ابن كثير ج١ ص٥٧ ومجموع الفتاوى ج١٤ص ١٣، ١٤ والتفسير القيم ص ٥٩٨

(٦) مجموع الفتاوى ج١٤ ص١٣ وانظر ج٢ص٣٧ من نفس الكتاب

(٧) القول السديد لابن سعدي ص١٣وانظر شرح الطحاوية ص٨٣- ٨٤

(٨) شرح الطحاوية ص٨١ وانظر ص٧٩، ٨٧

ثانيا:أن إقرار الناس بالربوبية أسبق من إقرارهم بالإلهية .يقول ابن تيمية (ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم إلى الإله المعبود، وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة إلهيته ...)[١]

ثالثا:الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية؛ولذا سيقت آيات الربوبية برهانا على ذلك[٢] ومن الآيات التي وردت في ذلك :–

١– قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣].

يقول النسفي (احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم ؛ لأنهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ...)[٤]

٢– وقوله تعالى﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾[٥].

يقول ابن سعدي (...وكما أنه ليس له مشارك إذ أنشأكم وأنشأ غيركم،فلا تجعلوا له أنداداً في عبادته،بل أخلصوا له الدين...)[٦].

٣– وقوله تعالى﴿ . . . لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ . . . الآية ﴾[٧].

يقول ابن سعدي (واسجدوا لله الذي خلقهن) أي اعبدوه وحده؛لأنه الخالق العظيم ...)[٨]

٤– وقوله تعالى﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ*وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ*وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٩]

(١) مجموع الفتاوى ج١٤ص١٤

(٢) انظر: شرح الطحاية ص٨٤ وفقه التوحيد ص٤٦

(٣) آية ٢١ البقرة

(٤) تفسير النسفي ج١ ص٢٧

(٥) آية ١٧ النحل

(٦) تفسير ابن سعدي ج٤ص٩٤

(٧) آية ٣٧ فصلت

(٨) تفسير ابن سعدي ج٧ ص٨٧

(٩) آية ٣ – ٥ الجاثية

يقول الشنقيطي(ذكر جل وعلا في هذه الآيات الكريمة من أول سورة الجاثية ستة براهين من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله وكمال قدرته وأنه المستحق للعبادة وحده تعالى)[١] وأمثال ذلك مما فيه الاستدلال على توحيد الإلهية بانفراده سبحانه بصفات الربوبية.

يقول ابن أبي العز (...ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية ويبين أنه لا خالق إلا الله وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله فيجعل الأول دليلا على الثاني ؛إذ كانوا يسلمون في الأول وينازعون في الثاني فبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك فلم تعبدون غيره وتجعلون معه آلهة أخرى ؟ ...)[٢]

القاعدة الثالثة :قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب إلا بعد قيام الحجة وانتفاء الموانع كالإكراه والخطأ ونحوهما[٣].

قال تعالى﴿ . . . وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٤].

يقول الشوكاني (... فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم)[٥].

وقال تعالى﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا . . . الآية ﴾[٦].

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن الله لا يعذب إلا بعد إبلاغ الرسالة.

يقول ابن تيمية (وأيضاً فإن الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة ...)[٧].

وقال ابن القيم – بعد أن ذكر الآية الأولى وآيات أخرى قال – (وهذا كثير في القرآن يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة)[٨].

---

(١) أضواء البيان ج٧ ص٣٢٩

(٢) شرح الطحاوية ص٨٣ – ٨٤

(٣) انظر :الجواب الصحيح ج١ ص٣٠٩ ومجموع الفتاوى ج١٢ ص٤٩٣ ومدارج السالكين ج١ ص٢١٧ والإحكام لابن حزم ج١ ص٦٧

(٤) آية ١٥ الإسراء وانظر تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٨

(٥) فتح القدير ج٣ ص٢١٤

(٦) آية ٥٩ القصص وانظر فتح القدير ج٤ ص ١٨١ وتفسير ابن سعدي ج٢ص١٠٢– ١٠٣

(٧) مجموع الفتاوى ج١٢ ص٤٩٣– ٤٩٤ وانظر : ج١٧ ص٣٠٨

(٨) طريق الهجرتين ص٧١٦ وانظر مجموع الفتاوى ج١٢ ص٤٩٣،ج١١ ص٤٠٧وتفسير ابن كثير ج٣ ص٢٨

والمراد بقيام الحجة :– هو بلوغها للعبد وثبوتها عنده وتمكنه من معرفتها،وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامتها .

يقول ابن تيمية (وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها ...) [(١)].

وقال ابن القيم (...فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسول وإنزال الكتاب وبلوغ ذلك إليه وتمكنه من العلم به سواء علم أو جهل ...) [(٢)].

وقال ابن حزم (وصفة قيام الحجة عليه هو أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها)[(٣)].

وقال ابن سحمان (والذي يظهر لي – والله أعلم – أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل ...فإنه لا تقوم به الحجة) [(٤)].

والمراد بانتفاء الموانع :هو انتفاء ما يمنع من التكفير والتعذيب كالإكراه[(٥)]. والخطأ[(٦)]. وتأويل[(٧)]. يعذر فيه صاحبه ونحوها .

(١) مجموع الفتاوى ج٢٣ ص٣٤٦ وانظر ج٣ ص٢٣١ وج٢٠ ص٥٩

(٢) مدراج السالكين ج١ ص٢١٧

(٣) الإحكام لابن حزم ج١ص ٧١

(٤) منهاج أهل الحق والإتباع ص٦٨

(٥) قال تعالى {...إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ...الآية } آية ١٠٦ النحل يقول القرطبي في تفسير الآية – (أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر ... أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان ... ولا يحكم عليه بالكفر) تفسير القرطبي ج٣ ص١١٦٢ وانظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٨٧ وفتح الباري ج١٢ ص٣١٤

(٦) قال الله تعالى {...وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ... الآية }آية ٥ الأحزاب يقول ابن كثير – في تفسير الآية (... فإن الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه كما أرشد إليه في قوله تعالى آمراً عباده أن يقولوا {... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ... الآية }٢٨٦ البقرة وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال :قال الله عز وجل قد فعلت ...) تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٦٧ وانظر :صحيح مسلم (بشرح النووي) ج٢ ص١٤٦ وفتح الباري ج١١ ص٥٥١ ومجموع الفتاوى ج٣ ص٢٣١ ، ٣١٧ – ٣١٨ وج١٢ ص١٨٠ ، ٤٩٢ وج٢٣ ص٣٤٦

(٧) قال ابن حجر (قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغا في لسان العرب وكان له وجه في العلم) فتح الباري ج١٢ ص٣٠٤ وانظر مجموع الفتاوى ج٢٠ ص٢٦٣ وقال ابن الوزير (قوله تعالى {... ولكن من شرح بالكفر صدراً ... الآية }١٠٦ النحل يؤيد إن المتأولين غير كفار، لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعاً أو ظناً أو تجويزاً أو احتمالاً) إيثار الحق على الخلق ص٤٣٧ وانظر نواقض الإيمان القولية ص٧٧ –٧٨

القاعدة الرابعة : من مقاصد الشريعة سد الذرائع المفضية إلى الشرك حماية للتوحيد(1).

الذرائع :جمع ذريعة،وهي– بالمعنى العام – ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء .وبالمعنى الخاص :كل عمل ظاهره الجواز يتوصل به إلى محظور وهو الغالب في استعمالها(2)

والذرائع المفضية إلى الشرك :هي الوسائل والأسباب التي تؤدي إلى الشرك وإن لم تكن هي من الشرك(3).ومعنى سدها :المنع من فعلها لتحريمه(4)

يقول ابن القيم (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرقٍ تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها ... إلى أن قال :فإذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقا لتحريمه ... ومنعاً أن يقرب حماه ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليها لكان ذلك نقضاً للتحريم)(5)

وقال ابن العربي (وقاعدة الذرائع التي يجب سدها شرعا هو ما يؤدي من الأفعال المباحة إلى محظور منصوص عليه) (6)

وقال الشاطبي (وسد الذرائع ... أصل من الأصول القطعية في الشرع)(7)

ولذا جاءت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تدل على أن سد الذرائع إلى الشرك والمحرمات من مقاصد الشريعة ومن ذلك:–

١– قوله تعالى﴿ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ . . . الآية ﴾(8)

فنهى سبحانه وتعالى رسوله والمؤمنين عن سب آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله – مع أنها باطلة – لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سب المشركين الإله الحق سبحانه(9)

(١) انظر: الرد على الأخنائي ص١٧٧ ومجموع الفتاوى ج٢٧ ص٣٢٧ – ٣٢٩ ، ٤٨٨

(٢) انظر :قاعدة سد الذرائع ص٥٧ والفتاوى الكبرى ج٣ ص٢٢٣ وموسوعة مصطلحات أصول الفقه ج١ ص٧٢٢ وأحكام القران لابن العربي ج٢ ص٢٩٨

(٣) إعانة المستفيد للفوزان ج٢ ص٤٣١

(٤) شرح الكوكب المنير ج٤ ص٤٣٤ وانظر مجموع الفتاوى ج٣٢ ص٢٢٨ والفتاوى الكبرى ج٢ ص١٥ واعلام الموقعين ج٣ ص١٧٩ والتعريفات الإعتقادية ص١٧٥

(٥) اعلام الموقعين ج٣ ص١٣٥

(٦) تهذيب الفروق والقواعد السنية ج٢ ص٤٤

(٧) الموافقات ج٣ ص٦١ وانظر القول السديد ص٨٥

(٨) آية ١٠٨ الأنعام

(٩) انظر :تفسير ابن كثير ج٢ ص١٦٤ وفتاوى اللجنة الدائمة ج١ص٣٤٥ – ٣٤٦

يقول ابن سعدي (...وفي الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية وهو أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر) [١]

٢- ومنها نهيه (ﷺ) عن بناء المساجد على القبور ولعنه من فعل ذلك[٢]،ونهيه عن تجصيص القبور وتشريفها[٣]واتخاذها مساجد[٤]،وعن الصلاة إليها[٥]وعندها ، وعن إيقاد المصابيح عليها[٦] وأمره بتسويتها[٧] .

ونهيه عن اتخاذها عيدا[٨]وعن شد الرحال إليها[٩] لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سداً للذريعة.

(١) تفسير ابن سعدي ج٢ ص٢١٠

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :(لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي انظر:جامع الأصول حديث ٨٦٦٣ وحاشيته

(٣) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال:نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه)رواه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي انظر جامع الأصول حديث٨٦٥٢ وحاشيته

(٤) عن جندب بن عبد الله البجلي قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول (...ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم انظر جامع الأصول حديث ٦٤١٠ وحاشيته

(٥) عن أبي مرثد الغنوي ﷺ أن النبي ﷺ قال (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) رواه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي انظر:جامع الأصول حديث ٨٦٧٥ وحاشيته

(٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) سبق تخريجه آنفا

(٧) وعن أبي الهياج الاسدي رحمه الله قال – قال لي علي بن أبي طالب ﷺ (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟اذهب فلا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته) رواه مسلم وأبو داوود والترمذي – انظر:جامع الأصول حديث ٨٦٥١ وحاشيته

(٨) عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا ... الحديث) رواه أبو داود وأحمد انظر:جامع الأصول حديث ٢٤٧٨ وحاشيته

(٩) عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...الحديث) رواه البخاري ومسلم انظر:جامع الأصول حديث ٦٨٩٤ وحاشيته

٣ – ومنها أيضا – نهيه ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها وعند قيام قائم الظهيرة[١] لأنها وقت سجود المشركين للشمس سداً لذريعة المشابهة الظاهرة التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد[٢].

٤– ونهيه ﷺ الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه سداً لذريعة الشرك[٣].

القاعدة الخامسة : تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله شرك[٤]

قال تعالى ﴿ . . . وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[٥]

يقول ابن سعدي(أي يسوون به غيره من الأنداد ...)[٦]

وقال تعالى﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ*إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٧]

يقول ابن كثير (...أي نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين)[٨]

وقال ابن تيمية (فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك)[٩]

ومن أنواعها ما يلي: الأول:تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الربوبية كالخلق والأمر والضر والنفع ونحو ذلك[١٠].

---

(١) وعن عقبة بن عامر ﷺ قال (ثلاث ساعات كان الرسول ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أو نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب) رواه مسلم والترمذي والنسائي وانظر:جامع الأصول حديث ٣٣٣٣ وحاشيته

(٢)انظر:مجموع الفتاوى ج١ ص٣٠٣ ج٢٧ ص١٥٥ – ١٦٠ ،ص٣٢٧ ، ٤٨٨ – ٤٨٩ ، والفتاوى الكبرى ج٣ ص٢٢٣– ٢٣٠ واعلام الموقعين ج٣ ص١٣٦ – ١٣٧ ،١٣٩ – ١٤٠ وإغاثة اللهفان ج٢ ص٢١٩

(٣) اعلام الموقعين ج٣ ص١٥٤ – ١٥٥

(٤) انظر:مجموع الفتاوى ج١٣ ص١٩ والاستقامة ج١ ص٣٤٤ واعلام الموقعين ج١ ص٤١٣ ومدارج السالكين ج١ ص٣٣٩ وفتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٥١٦

(٥) آية ١٥٠ الأنعام

(٦) تفسير ابن سعدي ج٢ ص٢٣١

(٧) آية ٩٧ – ٩٨ الشعراء.

(٨) تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٤٠ وانظر :التفسير القيم ص٣٩٦

(٩) مجموع الفتاوى ج١٣ ص١٩

(١٠) انظر:عقيدة المؤمن ص٩٦

إن كانت مع الإعتقاد مثل:–

أ– تسوية من جعل مع الله رباً آخر كمن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها أرباب مدبره لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم. وكالمجوس: وهؤلاء لا يقولون بالتساوي بين الأرباب في جميع صفات الربوبية وإنما في بعضها ولذا يجعلون النور هو الأصل(١).

ب – تسوية من قال إن موجودا ما غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده – وإن لم يعتقد كونه إلها – كالقدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعاله(٢) بنفسه .

ج– تسوية غلاة الصوفية القائلين بأن في الكون أقطابا من الأولياء لهم قدر من التصرف في حياة الناس فهم يعطون ويمنعون ويضرون وينفعون(٣).

يقول عبد الرحمن عبد الخالق (فعامتهم يجعلون الولي مساوياً لله عز وجل في جميع صفاته فهو يخلق ويرزق ...) (٤)

د– تسوية من جعل لله نداً في التشريع يرتضي حكمه ويدين به في التحليل والتحريم(٥).

ونحو ذلك ، فهي شرك أكبر.

وإن كانت التسوية في اللفظ ولم يقم بقلب القائل تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله.

كقول: لو لا الله وأنت ، وأنا بالله وبك ، وما شاء الله وشئت، ونحو ذلك فهي شرك أصغر ووسيلة إلى الشرك الأكبر.

أما إن قام بقلبه تعظيم لذلك المسوى بينه وبين الله – وكان عالما الحكم – فهو شرك أكبر، وإن كان جاهلا عّلم فإن أصر فهو والعالم ابتداء سواء كل منها مشرك شركا أكبر(٦).

الثاني: تسوية غير الله بالله في شيء مما يستحقه وحده – إن كانت مع اعتقاد القلب بها –.

كتسوية غير الله بالله في دعاء العبادة أو في دعاء المسالة أو في الطاعة أو المحبة أو الخوف أو الرجاء ونحو ذلك فهي شرك أكبر(٧).

---

(١) انظر:فقه التوحيد ص٤٣ وبيان حقيقة التوحيد ص١٨

(٢) انظر تفسير القرطبي ج٥ ص١٨١ ودرء تعارض العقل والنقل ج٧ ص٣٩٠ والجواب الكافي ص١٥٣ – ١٥٤

(٣) عقيدة المؤمن ص٩٥ وانظر مجموع الفتاوى ج١ ص٩٢

(٤) الفكر الصوفي عبد الرحمن عبد الخالق ص٣٨

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٥١٦ وانظر : مجموع الفتاوى ج٧ ص٦٧ وتفسير ابن كثير ج٣ ص٨٠ وأضواء البيان ج٤ ص٨٢– ٨٣ .

(٦) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٢٢٤ والإرشاد للفوزان ص٣٦

(٧) انظر: مجموع الفتاوى ج١ ص٩٢

يقول ابن تيمية(وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به)[1]

وإن كانت التسوية في اللفظ ،كيسير الرياء وكمن حلف بغير الله – عالما الحكم ولم يقم بقلبه تعظيم من حلف به مثل تعظيم الله – ونحو ذلك ، فهي شرك أصغر[2].

أما إن كان جاهلا فإنه يعلّم فإن أصر فهو والعالم ابتداء سواء كل منهما مشرك شركا أصغر[3]، أو قام بقلبه تعظيم من حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله – وهو عالم الحكم – فهو أكبر، وإن كان جاهلا عُلّم فإن أصر فهو والعالم ابتداء سواء كل منهما مشرك شركا أكبر[4]

القاعدة السادسة:الشفاعة – عنده سبحانه – له وحده وليس لأحد منها شيء إلا أن يكون بإذنه لمن ارتضى[5]كما قال تعالى﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ . . . الآية ﴾[6]

وقوله تعالى ﴿ . . .وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى . . . الآية ﴾[7]

تعريف الشفاعة :لغة مصدر شفع .والشفع خلاف الوتر، وشفعت الوتر ضممت إليه آخر وشفعت في الأمر طالبت بوسيلة أو ذمام[8].

وفي الاصطلاح :سؤال الخير للغير[9].

والمراد بالشفاعة– هنا– هي سؤال الله الخير للناس في الآخرة فهي نوع من أنواع الدعاء المستجاب[10].

وهي ملك لله وحده،كما قال تعالى﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .الآية ﴾ [11]

---

(١) الاستقامة ج١ ص٣٤٤

(٢) انظر الجواب الكافي ص١٥٨ ومدارج السالكين ج١ ص٣٤٤ وقواعد ومسائل في توحيد الإلهية ص١٠

(٣)فتاوى اللجنة الدائمة ج١ ص٢٢٤

(٤)فتاوى اللجنة ج١ص ٢٢٤ والقول المفيد ج٢ ص٢٩١

(٥) انظر:مجموع الفتاوى ج١ ص٣٣٢ ،ج١٤ ص٤٠٥ – ٤٠٦ ج٢٧ ص٤٣٩ وفتح القدير ج٤ ص٤٦٧

(٦) آية ٢٣ سبأ

(٧) آية ٢٨ الأنبياء

(٨) انظر:المصباح المنير ص١٢١ ولسان العرب ج٢ ص٣٣٣

(٩) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ج٢ ص٢٤٦ وانظر :التعريفات الإعتقادية ص٢١٢

(١٠) العقائد الإسلامية ص٢٧٣

(١١) آية ٤٤ الزمر

وقال تعالى﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ . . . الآية ﴾ (1)

يقول ابن تيمية (فأخبر أنه لا يملكها أحد دون الله،وقوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) استثناء منقطع أي من شهد بالحق وهم يعلمون :هم أصحاب الشفاعة منهم الشافع ومنهم المشفوع له) (2)

ولا تقع لأحد إلا بشروط منها :١ – إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع ولا يأذن سبحانه إلا لمن رضي له قولا وهم أهل الإيمان الصحيح والعمل الصالح .

قال تعالى﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (3)

٢– رضاه سبحانه عن المشفوع له بأن يكون من الموحدين الصادقين ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ . . . وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى . . . الآية ﴾ (4).

يقول النسفي (إلا لمن ﷺ وقال لا إله إلا الله)(5)

إلا في الشفاعة العامة لأهل الموقف وفي شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب(6).

وعليه فالشفاعة قسمان الأول: شفاعة مثبتة: وهي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحده(7).

يقول ابن تيمية (ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ،وتلك قد بين الرسول ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ...)(8).

كما قال(ﷺ)(...أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) (9) (10)

ويستثنى من ذلك شفاعتان الأولى: شفاعة الإراحة من هول الموقف وقد يقال :هذه الشفاعة خاصة بالمؤمنين؛ لأن الكفار لا يريدون الحساب إذ ما هم فيه خير مما هم مقبلون عليه.

---

(١) آية ٨٦ الزخرف .

(٢) مجموع الفتاوى ج٢٧ ص٤٣٩.

(٣) آية ١٠٩ طه

(٤) آية ٢٨ الأنبياء

(٥) تفسير النسفي ج٢ ص٣٩٧

(٦)انظر:القول المفيد ج١ ص٤٢٧ ،٤٣١ وشرح الواسطية لابن عثيمين ج٢ ص١٦٨وفتح الباري ج١١ ص٤٣١

(٧) انظر مجموع الفتاوى ج١ ص٣٣٢ومدارج السالكين ج١ ص٣٤٠

(٨) مجموع الفتاوى ج٧ ص٧٩ وانظر ج٢٧ ص٤٤١

(٩) أخرجه البخاري في العلم باب الحرص على الحديث وفي الرقاق باب صفة الجنة والنار .

(١٠) انظر مجموع الفتاوى ج٢٧ ص٤٤٠– ٤٤١

الثانية :شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب فإنه يشفع له فيخفف عنه العذاب.

وبما أن هاتين الشفاعتين ليستا في دخول الجنة أو الخروج من النار ودخول الجنة فإن الشفاعة في دخول الجنة أو رفع المنزلة خاصة بمن وحد الله.

يقول القرطبي – بعد أن ذكر شفاعة الرسول ﷺ لعمه – فإن قيل فقد قال تعالى {فما تنفعهم شفاعة الشافعين }قيل له: لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة)[1].

والشفاعة المثبتة أنواع قيل أنها ثلاث وممن قال ذلك ابن تيمية [2]وقيل أنها خمس وممن قاله النووي والقرطبي تبعاً لعياض[3] وقيل أنها ثمان –كما قال ابن أبي العز الحنفي[4]– وقيل غير ذلك[5].منها:ما يختص بالنبي ﷺ ومن ذلك الشفاعة العظمى، والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب[6]، ومنها مالا يختص به[7].

وإليك شيئاً منها: –

الأولى : الشفاعة العظمى لأهل الموقف[8]، الثانية : الشفاعة لدخول أهل الجنة الجنة[9].

الثالثة : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب[10] الرابعة : الشفاعة في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم[11] فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، الخامسة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار أن لا

---

(١)التذكرة ص٣٠١ وانظر :القول المفيد ج١ ص٤٢٧ ، ٤٣١ وشرح الواسطية لابن عثيمين ج٢ ص١٦٨ ، ١٧٧ وقواعد ومسائل في توحيد الإلهية ص١٨٩

(٢)انظر: مجموع الفتاوى ج٣ ص١٤٧

(٣)انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ج٣ ص٣٥–٣٦ والتذكرة ص٣٠١ وفتح الباري ج١١ص ٤٢٨ وابن القيم مع اختلاف يسير. انظر حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ج١٣ ص٥٥

(٤)انظر شرح الطحاوية ص٢٥٣– ٢٥٨

(٥) انظر التذكرة ص٣٠١ ورسالة الشرك ومظاهره ص٢٢٢

(٦)انظر مجموع الفتاوى ج٣ ص١٤٧

(٧) بل له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم .ومن ذلك الشفاعة في إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا ، والشفاعة في إخراج من أدخل النار من العصاة . انظر مجموع الفتاوى ج٣ ص١٤٧

(٨) انظر :سنن الترمذي حديث ٣١٤٨ وتفسير الطبري ج٢ ص٣٣٠

(٩) انظر : صحيح مسلم حديث١٩٥ وجامع الأصول حديث ٨٠١٧ وحاشيته

(١٠) انظر صحيح البخاري حديث٤٤٣٥، ٥٤٧٤ ومسلم حديث ١٩٤

(١١) انظر المعجم الكبير ج١١ ص١٨٩ وفتح الباري ج١١ ص٤٢٨

يدخلوها ويدخلون الجنة[(١)].

السادسة: الشفاعة لإخراج أهل التوحيد من النار[(٢)] ،السابعة: الشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم[(٣)]، الثامنة:الشفاعة لأهل المدينة[(٤)]، التاسعة : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب[(٥)].[(٦)].

الثاني : شفاعة منفية: نفاها الله تعالى،وهي ما كان فيها شرك كالتي أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلالهم[(٧)] ومن ذلك طلب الشفاعة من الأموات[(٨)].

يقول ابن تيمية (فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك) [(٩)]

وقال ابن القيم (... والتي نفاها الله هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء) [(١٠)]

قال تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[(١١)]

وقال تعالى – حكاية عن صاحب يس – ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ ﴾[(١٢)]

---

(١) انظر : حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ج١٣ ص٥٥

(٢) انظر صحيح البخاري حديث ٦١٩٨

(٣) انظر صحيح مسلم حديث ٩٢٠

(٤) انظر صحيح مسلم حديث ١٣٧٧ والترمذي حديث ٣٩١٧

(٥) انظر صحيح البخاري حديث ٣٦٧٠ ومسلم حديث ٢٠٩

(٦) انظر : مجموع الفتاوى ج٣ ص١٤٧ وفتح الباري ج١١ ص٤٢٨ وشرح الطحاوية ص٢٥٣– ٢٥٨

(٧) انظر : مجموع الفتاوى ج١ ص٣٣٢

(٨) انظر فتح المجيد ص٢٢٠ وفقه التوحيد ص٣٥٢ والدر النضيد ص١٣٠

(٩) مجموع الفتاوى ج٧ ص٧٩ وانظر فتح المجيد ص٢٢٢

(١٠) مدارج السالكين ج١ص٣٤٠

(١١) آية ١٨ يونس

(١٢) آية ٢٣ يس

قال البغوي (أي لا شفاعة لها أصلا فتغني) [١]

القاعدة السابعة :ما من شيء خلقه الله عز وجل إلا لحكمة وما من شيء شرعه إلا لحكمة[٢]

تعريف الحكمة : لغة :هي العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن ونحو ذلك[٣].

والمراد – هنا – الحكمة الإلهية،وهي –كما ذكر الجرجاني –: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها[٤]

ولذا انقسمت إلى العلمية والعملية[٥]

فالعلمية :هي الإطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً وقدرا وشرعاً .

والعملية :هي وضع الشيء في موضعه اللائق به[٦]

وحكمته سبحانه –كما قال ابن القيم – (هي حكمة حق عائدة إليه قائمة به كسائر الصفات ...وهي :الغاية المحبوبة له المطلوبة التي هي متعلق محبته وحمده ...) [٧]

وهي مأخوذة من قوله تعالى﴿ . . . إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[٨] وقوله تعالى ﴿ . . .إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيمًا ﴾[٩] وقوله تعالى ﴿... وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [١٠] وغيرها من الآيات الدالة على الحكمة لله عز وجل فيما يخلقه وفيما يشرعه[١١].

يقول ابن القيم (وإسمه سبحانه الحكيم يتضمن حكمته في خلقه وأمره...) [١٢]

---

(١) تفسير البغوي ج٤ ص١٠

(٢) انظر :طريق الهجرتين ص١٦٢ ، ١٩٥ ، ٢٧٦ ومدا رج السالكين ج٣ ص٤٦٠ والمجموع الثمين ج٢ ص٢٣

(٣) القاموس المحيط ج٤ ص٩٨

(٤) التعريفات للجرجاني ص٩٧

(٥) التعريفات للجرجاني ص٩٧،وانظر: مدارج السالكين ج٢ ص٤٧٨

(٦) مدارج السالكين ج٢ ص٤٧٨

(٧) طريق الهجرتين ص١٥٨ وانظر:مدارج السالكين ج٣ ص٤٦١

(٨) آية ٣٢ البقرة

(٩) آية ٢٤ النساء

(١٠) آية ٢ التحريم

(١١) انظر المجموع الثمين ص٢٣

(١٢) طريق الهجرتين ص١٩٥ وانظر التفسير القيم ص٣١

وقال ابن سعدي – في تفسير قوله تعالى ﴿ . . . إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1] – (...الحكيم من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئا إلا لحكمة ولا أمر بشيء إلا لحكمة)[2]

الأدلة على أن أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة : وهي كثيرة. ونظراً لأنها لا تكاد تحصى ولا سبيل لاستيعاب أفرادها –كما قال ابن القيم[3]– لذا نذكر بعض أنواعها. ومن ذلك ما يلي:–

١– التصريح بلفظ الحكمة ، وما تصّرف منها ، كقوله تعالى ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ . . . ﴾[4].

٢– إخباره سبحانه أنه فعل كذا لكذا وأنه أمر بكذا لكذا كقوله تعالى ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ . . . الآية ﴾[5]

وقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[6]

٣– الإتيان بكي الصريحة في التعليل كقوله تعالى ﴿ مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ. . . ﴾[7]

٤– الإتيان بأن والفعل المستقبل بعدها تعليلا لما قبله ، كقوله تعالى ﴿ . . . أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى . . . الآية ﴾[8]

٥– تعليليه سبحانه عدم الحكم القدري والشرعي بوجود المانع منه كقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ . . . الآية ﴾[9]

---

(١) آية ٣٢ البقرة

(٢) تفسير ابن سعدي ج١ص٣٣ وانظر:تفسير ابن كثير ج١ ص٧٤

(٣) شفاء العليل ص١٩٠

(٤) آية ٥ القمر

(٥) آية ١٦٥ النساء

(٦) آية ٥٦ الذاريات

(٧) آية ٧ الحشر

(٨) آية ٢٨٢البقرة

(٩) آية ٣٣الزخرف

٦- إنكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة ، كقوله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا . . . الآية ﴾[(١)]

٧- إخباره سبحانه بأن حكمه أحسن الأحكام وتقديره أحسن التقادير ولو لا مطابقته للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة لما كان كذلك قال تعالى ﴿ . . . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[(٢)] وقال تعالى ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾[(٣)]

٨- إخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه[(٤)] ومن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شيئا إلا بحكمه يحمد عليها. وغيرها كثير ذكرها ابن القيم[(٥)].

هذا ما تيسر كتابته حول قواعد توحيد الربوبية والإلهية.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل صوابه ويتجاوز عن خطئه، إنه سميع مجيب .

وصلى الله على نبينا مُحَّمد وآله وصحبه وسلم .

(١) آية ١١٥ المؤمنون .

(٢) آية ٥٠ المائدة .

(٣) آية ٢٣ المرسلات .

(٤) آية ٥٦ هود وآية ٧٦ النحل .

(٥) في شفاء العليل ص١٩٠-٢٠٤ .

فهرس المراجع

- القران الكريم .
- أحكام القران لابن العربي ت : علي البجاوي ط الثالثة ١٣٩٢هـ – دار المعرفة،بيروت، لبنان.
- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم – ط الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد، د/ صالح الفوزان ،ط :١٤١١هـ مكتبة ابن تيمية – القاهرة –
- الاستقامة، لابن تيمية،ت :محمد رشاد سالم،ط الأولى ١٤٠٤هـ، مطابع جامعة الإمام.
- أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع ، للشيخ :محمد بن سليمان التميمي ،رتبها محمد الطيب الأنصاري، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٩٧٥هـ.
- أصول الفقه الإسلامي- زكي الدين شعبان ،ط ١٩٨٨م مؤسسة الصباح للنشر .
- أضواء البيان في إيضاح القران بالقران ، للشنقيطي ، ط :١٤١٥هـ ، دار الفكر ، بيروت.
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،صالح الفوزان،ط الأولى ١٤٢١هـ مؤسسة الرسالة بيروت.
- الاعتصام – للشاطبي، ت : عبد الرزاق المهدي ط :الأولى ١٤١٧هـ ، دار الكتاب العربي
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد – للبيهقي،ط الأولى ١٤٠١هـ دار الآفاق الجديدة ،بيروت.
- اعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم ،ط :١٣٨٨هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية.
- إغاثة اللهفان، لابن القيم ط١٣٨١، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية ، ت :محمد الفقي ، ط :الثانية،مكتبة السنة المحمدية
- الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ت: عماد الدين أحمد حيدر ،ط الأولى ١٤٠٧هـ، عالم الكتب ، بيروت.
- إيثار الحق على الخلق،لابن المرتضى اليماني ، ط١٣١٨هـ،دار الكتب العلمية بيروت.
- بيان حقيقة التوحيد،للشيخ صالح الفوزان، ط ١٤٠٨هـ،مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي ، دار الهداية.
- تحفة الأحوذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري:دار الكتب العلمية – بيروت.
- التدمرية ، لشيخ الإسلام ابن تيميةت:محمد عودة ، ط الأولى١٤٠٥هـ.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ت أحمد حجازي السقا ، ط ١٤٠٥هـ دار الكتب العليمة بيروت.
- التعريفات ، علي محمد الجرجاني، ط الأولى ١٤٠٥هـ ، دار الكتاب العربي.
- التعريفات الإعتقادية، سعد بن محمد آل عبد اللطيف ط الأولى ١٤٢٢هـ دار الوطن الرياض.

- تفسير البغوي،(معالم التنزيل) الحسين بن مسعود البغوي ،ط الأولى ١٤٠٦ دار المعرفة.بيروت.
- تفسير الجزائري (أيسر التفاسير) لأبي بكر جابر الجزائري ط : الثانية ١٤٠٧هـ
- تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن) ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط:١٣٩٨ مؤسسة مكة للطباعة.مكة المكرمة .
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ، لأبي السعود محمَّد بن محمَّد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- تفسير الطبري،لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطبري ، ط :١٣٩٨هـ :دارالمعرفة، بيروت.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القران) لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الشعب – القاهرة –.
- التفسير القيم للإمام ابن القيم ، ت: محمَّد حامد الفقي،ط:١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية،بيروت.
- تفسير ابن كثير ، لإسماعيل بن كثير القرشي ط ١٣٨٨هـ دار المعرفة – بيروت–
- تفسير النسفي، أبي البركات عبد الله النسفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان .
- تفسير النيسابوري(بهامش تفسير الطبري) للحسن بن محمَّد النيسابوري،ط الثالثة ١٣٩٨هـ،دار المعرفة بيروت.
- توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، عبد الرحمن بن حسن الميداني،ط الأولى ١٤١٩هـ،دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمَّد المناوي، ط الأولى١٤١٠هـ،دار الفكر المعاصر ، بيروت .
- التمهيد لقواعد التوحيد،أبو الثناء محمود الماتريدي، ط: الأولى ١٩٩٥م ، دار الغرب الإسلامي.
- تهذيب الفروق والقواعد السنية، محمَّد بن علي بن حسين المكي ، عالم الكتب بيروت.
- تيسير العزيز الحميد ، سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: لابن الأثير الجزري ط :١٣٨٩هـ ، مكتبة الحلواني ، مطبعة الملاح ، مكتبة دار البيان .
- الجامع الفريد– كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية ، ط: الرابعة ١٤٢٠هـ.
- الجامع الكبير للسيوطي– للعلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بنسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم٩٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية ، مطابع المجد.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم ،ط: الثالثة ،١٤٠٠هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

- حاشية كتاب التوحيد- عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم- ط ١٤٠٨هـ.
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ،لابن القيم ، ط الثانية ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية بيروت.
- الحجة في بيان المحجة ، لأبي القاسم إ سماعيل الأصبهاني، ط الثانية ١٤١٩هـ،دار الراية ، الرياض.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، زكريا بن مُحَمَّد الأنصاري ، ط الأولى ١٤١١هـ بيروت.
- درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ،ت: مُحَمَّد رشاد سالم ، ط: الأولى ١٣٩٩هـ.
- الدر النضيد على كتاب التوحيد ، إعداد سعيد الجندول، ط الرابعة ١٣٩٩هـ .
- الرد على الأخنائي، لابن تيمية،ت: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، ط ١٤٠٤هـ،نشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية- الرياض
- الرسالة التبوكية ، لابن القيم ، ت: مُحَمَّد جميل غازي،مكتبة المدني ، جدة .
- رسالة في الشرك ومظاهره، مبارك مُحَمَّد الميلي،ط الأولى ١٤٠٩هـ، مكتبة الإيمان، الإسكندرية.
- الروح لابن القيم ،ط: ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- روح المعاني ، لشهاب الدين مُحَمَّد الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- سنن الترمذي،مُحَمَّد بن عيسى الترمذي،ت: أحمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي بيروت.
- شرح التلويح على التوضيح للتفتزاني،ط١٣٧٧هـ مطبعة مُحَمَّد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر.
- شرح صحيح مسلم،للنووي ، ط الثانية ١٣٩٢هـ،دار إحياء التراث العربي بيروت .
-شرح الطحاوية،ت:جماعة من العلماء تخريج:الألباني،ط: الرابعة ١٣٩١هـ. – المكتب الإسلامي.
- شرح قصيدة ابن القيم،أحمد بن إبراهيم بن عيسى،ط الثالثة،١٤٠٦هـ،المكتب الإسلامي بيروت.
- شرح الكوكب المنير لابن النجار،ت:د.الرحيلي،د.نزيه، ط ١٤١٨هـ،مكتبة العبيكان، الرياض.
- شرح (الواسطية، لابن تيمية)، مُحَمَّد صالح العثيمين، ط الرابعة ١٤١٧هـ، دار ابن الجوزي.
- شفاء العليل، للإمام ابن القيم، الناشر: دار المعرفة ، بيروت.
- صحيح البخاري،مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، ط الثالثة،١٤٠٧هـ، دار ابن كثير ، بيروت.
- صحيح مسلم،مسلم بن الحجاج النيسابوري،ط الثانية ١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي بيروت.
- طريق الهجرتين،للإمام ابن القيم ، ط:١٣٩٧هـ إدارة الشؤون الدينية بقطر.
- العبودية،لشيخ الإسلام ابن تيمية،ط:السادسة،١٤٠٧هـ ،المكتب الإسلامي، بيروت.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، للإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.
- العقائد الإسلامية، للسيد سابق ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت .
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مُحَمَّد أحمد ملكاوي ط الثانية ١٤١٢هـ دار ابن تيمية،الرياض.
- عقيدة المؤمن ، لأبي بكر جابر الجزائري، ط الثانية ١٣٩٨هـ مكتبة الكليات الأزهرية.

– عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
– عون المعبود شرح سنن أبي داود،مُحَمَّد شمس الحق آبادي،ط الثانية ١٩٩٥م دار الكتب العلمية .
– الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ط ١٣٨٥هـ ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة العاصمة ، القاهرة .
– فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : ترتيب :أحمد الدويش ، ط : الأولى ١٤١١هـ .
– فتح الباري ،لابن حجر العسقلاني ، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
– فتح القدير، مُحَمَّد بن علي الشوكاني ، ط : ١٤٠١هـ دار الفكر، بيروت.
– فتح المجيد ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ،ط: الرابعة ١٤٢٢هـ
– فقه التوحيد ، خالد عبد الرحمن العك ، ط : الأولى ١٤١٦هـ دار إحياء العلوم – بيروت –.
– الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الرحمن عبد الخالق ط الثانية ١٤٠٤هـ مكتبة ابن تيمية ، الكويت .
– قاعدة سد الذرائع:د. مُحَمَّد حامد عثمان ، ط الأولى ١٤١٧هـ ، دار الحديث ،القاهرة
– القاموس المحيط : مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ط:١٣٩٨هـ دار الفكر بيروت لبنان.
– قواعد ومسائل في توحيد الإلهية، إعداد عبد العزيز الريس، ط ١٤٢٦هـ.
– القواعد الحسان لتفسير القرآن ، عبد الرحمن السعدي ،ط ١٤٠٢هـ،مكتبة المعارف ، الرياض.
– القول السديد في مقاصد التوحيد ، لابن سعدي ، ط :الأولى١٤١٢هـ،دار الوطن،الرياض.
– القول المفيد ، مُحَمَّد بن علي الشوكاني ط : الأولى ١٣٩٦هـ دار القلم – الكويت–
– الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، لابن أبي شيبة،ط الأولى ١٤٠٩هـ،مكتبة الرشد،الرياض.
– الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ،ط١٤١٩هـ،مؤسسة الرسالة ، بيروت.
–كنز العمال، علاء الدين الهندي ، ط: الأولى ،١٤١٩هـ دار الكتب العلمية .
– الكواشف الجلية عن معاني الواسطية،عبد العزيز مُحَمَّد السلمان،ط الثانية١٣٩٠هـ،مطبعة السعادة
– لسان العرب – للعلامة ابن منظور – دار لسان العرب ، بيروت ، لبنان .
– لوامع الأنوار البهية،مُحَمَّد بن أحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي بيروت – مكتبة أسامة بالرياض–
– ما جاء في البدع ،مُحَمَّد بن وضاح القرطبي ، ط الأولى ١٤١٦هـ ، دار الصميعي.
– المجموع الثمين،مُحَمَّد صالح العثيمين،ط الأولى ١٤١١،دارالوطن للنشر، الرياض.
– مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم – تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ مطبعة دار العربية،بيروت.
– مختصر العقيدة الإسلامية تأليف : طارق السويدان ، ط: الثالثة – دار الدعوة – الكويت .

- مدارج السالكين لابن القيم ، ت:مُحَّد حامد الفقي ط :١٣٩٣هـ ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي ، ط الأولى ،١٤٠٣، المكتب الإسلامي، بيروت.
- المصباح المنير : أحمد بن مُحَّد بن علي الفيومي ، دار القلم ، بيروت.
- معارج القبول، حافظ أحمد حكمي ، ط الأولى ،١٤١٠ دار ابن القيم ، الدمام.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني ، ط الثانية ١٤٠٤هـ، مكتبة الزهراء، الموصل.
- المفردات في غريب القرآن- لأبي القاسم الحسين بن مُحَّد ، ت:مُحَّد سيد كيلاني ، دار المعرفة ،لبنان .
- منهاج أهل الحق والإتباع ، لسليمان بن سحمان ، ط ١٣٤٠هـ مطبعة المنار ، القاهرة .
- منهاج السنة النبوية،لابن تيمية ، ت :مُحَّد رشاد سالم ، ط الأولى ١٤٠٦هـ، مؤسسة قرطبة.
- منهج ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد،إبراهيم البريكان،ط الأولى،١٤٢٥،دار ابن القيم، الرياض.
- الموافقات في أصول الفقه،إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي،ت عبد الله دراز،دار المعرفة بيروت.
-موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين،د.رفيق العجم ط الأولى ١٩٩٨م مكتبة لبنان ، بيروت .
- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي،ت مُحَّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، مصر.
- نبذة في العقيدة الإسلامية،مُحَّد صالح العثيمين،ط الثانية ١٤٠٤هـ،مكتبة المعارف ،الرياض .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن مُحَّد الجزري ط ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية بيروت.
- نواقض الإيمان القولية،عبد العزيز بن مُحَّد العبدالطيف،ط الثانية ١٤١٥هـ، دار الوطن للنشر.
- الواضح،لأبي الوفاء علي بن عقيل ت:عبد الله التركي ط:الأولى١٤٢٠هـ مؤسسة الرسالة.

فهرس الموضوعات